
بسّام العسلي
عمرو بن العاص
مشاهير قادة الإسلام
٥

بسم الله الرحمن الرحيم



(٥)





عمرو بن العاص

بسّام العسلي

دار النفائس

الطبعة الرابعة

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

○ دار النفائس
بيروت ، ص ب ٦٣٤٧ - هاتف ٣٠٢٥٣٨ - ٣٠١٤٤٧ - برقياً : دانفايسكو

صورة الغلاف : بريشة الفنان خالد العسلي .

بعض ما قيل عن عمرو بن العاص
وما نقل عنه

« أسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص »
(حديث شريف)

(دهاة العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه — فأما معاوية فللحلم والأناة ؛ وأما عمرو فللمعضلات ؛ وأما المغيرة فللمبادهة ؛ وأما زياد فللكبير والصغير) [1] .

وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إلى عمرو يمشي يقول : « ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي إلا أميراً » [2] وكان إذا رأى الرجل يتلجلج يقول : أشهد أن خالقَ هذا وخالق عمرو بن

---

(١) عن الشعبي — تاريخ الخلفاء للسيوطي — ص ١٣٦ .
(٢) اليعقوبي ١٩٧/٢ — والاصابة ٢/٥ .

العاص واحد » وإذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال : « أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد » وهو يريد بذلك أن الله خالق الأضداد [1] .

وقيل لعمرو : ما المروءة ؟ فقال « يُصلح الرجل ماله ويُحسن إلى إخوانه » [2] .

ومن أقواله : « ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرين » [3] .

وقال يوماً لمعاوية : « إن الكريم يصول إذا جاع ؛ واللئيم يصول إذا شبع ؛ فَسُدَّ خصاصة — حاجة — الكريم واقمع اللئيم » [4] .

وقال معاوية لعمرو : « من أبلغ الناس ؟ » قال : « من كان رأيه راداً لهواه » فقال : « من أسخى الناس ؟ » قال : « من بذل دنياه في صلاح دينه » قال : مَن أشجع الناس ؟ » فقال : « من رد جهله بحلمه » ومن أشهر أقواله : « موت ألف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة » وقوله أيضاً : « إذا أنا أفشيت سري إلى صديقي فأذاعه فهو في حل » فقيل له « وكيف ذلك ؟ » فقال : « أنا كنت أحق بصيانته » [5] .

---

(١) الاستيعاب ١١٨٨/٣ والاصابة ٢/٥ — ٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٦١/٤ .

(٣) و (٤) و (٥) «ابن العاص» — العقاد — في «فصل من كلامه» .

وقال عندما نزل الروم في «اليرموك» حيث المكان « ضيق المطرد ؛ ضيق المذهب » : « أبشروا ؛ حصرت والله الروم ؛ وقل ما جاء محصور بخير » [1] .

وكتب « عمر بن الخطاب » إلى « عمرو بن العاص » وهو على مصر يسأله فيه عن أصل المال الذي جمعه ، فغضب ابن العاص ، وأجاب أمير المؤمنين برسالة جاء فيها : « ... ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني ؛ فإن لنا أحساباً إذا رجعنا اليها أغنتنا عن خيانتك » [2] .

ومن الأحاديث التي نقلها عن الرسول ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ؛ وإن أخطأ فله أجر » [3] .

وقال رجل : « صحبت عمرو بن العاص – فما رأيت رجلاً أبين قرآناً ؛ ولا أكرم خلقاً ، ولا أشبه سيرة بعلانية منه) [4] وعندما أدركته الوفاة أخذ يردد : (« اللهم لا بريء فاعتذر ولا عزيز فانتصر ؛ وإلا تدركني برحمة أكن من الهالكين » . وأخذ يردد « لا إله إلا الله » حتى مات) . ودفن بالمقطم في مصر .

---

(١) ابن الأثير ١٥٦/٢ .
(٢) الفاروق عمر – الدكتور هيكل (١ /٣٠) .
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٠٤/٤ .
(٤) الاصابة ٢/٥ .



الفصل الأول

عمرو بن العاص

مختصر حياة عمرو بن العاص القيادية

١ – من الجاهلية حتى حروب الردة .
٢ – « عمرو بن العاص » في الشام .
٣ – فتح مصر وولايتها .

أ – الوضع العام قبل الفتح .
ب – الموقف العسكري عشية الفتح .
ج – الأعمال القتاليـــة .

٤ – ما بين الولايتين .



مختصر حياة « عمرو بن العاص » القيادية

تسلسل الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	وجيز الأحداث
١	٤٧ ق. هـ.	٥٧٧	ولادة عمرو بن العاص
٢	٨ هـ	٦٢٩	إسلام عمرو بن العاص .. مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة
٣	٩	٦٣٠	غزوة ذات السلاسل
٤	١٠	٦٣١	مع الرسول ﷺ في فتح مكة « وقيامه بهدم سواع »
٥	١٠	٦٣١	وفادة عمرو بن العاص إلى «عمان»
٦	١١	٦٣٢	قيادة قوة للمسلمين في « حروب الردة » للقضاء على « مرتدي قضاعة »

تسلسل الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	وجيز الأحداث
٧	١٢	٦٣٣	قيادته جيش من الجيوش الأربعة الموجهة « لحرب الروم » في الشام
٨	١٣ – ١٧	٦٣٤ – ٦٣٨	فتح فلسطين
٩	١٨ – ٢٩	٦٣٨ – ٦٤٨	فتح مصر وبقاء « عمرو بن العاص » على ولايتها .
١٠	٣٠ – ٣٨	٦٤٩ – ٦٥٨	عزل « عمرو بن العاص » عن ولاية مصر » واقامته في فلسطين ، ثم انضمامه لمعاوية ، واشتراكه في « التحكيم » في معركة صفين »
١١	٣٩ – ٤٣	٦٥٩ – ٦٦٤	استيلاء « ابن العاص » على مصر ، وبقائه على ولايتها حتى وفاته

١ ـ من الجاهلية حتى حروب الردة [(١)]

« يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذين يَلونَكُم
من الكفار، ولْيَجِدُوا فيكم غِلْظَةً؛ واعلموا
أنّ الله مع المتقين ».

(التوبة ـ ١٢٣)

قصة إلى الخيال هي أقرب ؛ وبطولات كالأساطير بل هي أغرب ؛ شيخ تجاوز الستين يقود جيشاً ـ في أقله أربعة آلاف . وفي أكثره ثمانية آلاف أو حتى اثني عشر ألفاً . يعبر بهم صحراء سيناء وهي المفازة التي تبتلع الجيوش ، .. ويسير الجيش الصغير ، يغالب الحر والقر ، بعد أن قاتل على امتداد ثمانية أعوام حتى أخضع « فلسطين » والشام وانتزعها من قبضة

---

(١) (ولد عمرو بن العاص في سنة ٥٠ ق . هـ ـ ٥٧٧م وتوفي في سنة ٤٣ هـ ـ ٦٦٤ م) .

الروم « البيزنطيين » ولم يكن هذا الجيش على « قلة عدده » و « ضعف عدته » جيشاً من الخراف ، وانما كان جيشاً من الأسود ؛ أثبت جدارته في جميع الحروب التي خاضها. وبرهن على كفاءته عبر جميع المعارك التي خرج منها منتصراً. فكانت قيادة مثل هذا الجيش شرفاً لا يعادله شرف في الدنيا ؛ ولكن ماذا يستطيع جيش من بضعة آلاف ، أن يفعله في اقليم حشد فيه الروم مائة ألف أو يزيدون وفيه قوات من أهل البلاد تعادل جيش الروم. تلك هي قصة « فتح مصر » وبطولات قائد جيش فتح مصر « عمرو بن العاص» الذي كان « جزاراً » وعمل «تاجراً» قبل أن يدخل الإسلام ، فتكون انساناً جديداً — بعد أن آمن وأسلم ، وأصبح من عظماء العرب ومن أشهر « قادة الاسلام » ومن أعلام « فن الحرب » في التاريخ.

إنه « عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي » يكنى أبا عبد الله. وأمه « سلمى بنت حرملة » تلقب « النابغة » من « بني عنزة » أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها « الفاكهة بن المغيرة » ثم اشتراها منه « عبد الله بن جُدعان » ثم صارت الى « العاص بن وائل » فولدت له ؛ فأنجبت «عمرو» الذي تميزت حياته بأربعة مراحل مميز بعضها عن بعض بوضوح تام وهي (١ — مرحلة الحياة الجاهلية. ٢ — مرحلة الإسلام ، حتى وفـــاة الرسول الأعظم ﷺ ٣ — مرحلة القيادة في الشام. ٤ — فتح مصر) ويمكن أن يضاف إلى ذلك

مرحلة لاحقة هي « حياة عمرو بن العاص » فيما بعد الفتح .

نشأ « عمرو بن العاص » في وسط أسرة غنية ؛ وكان أبوه يتاجر بين الشام واليمن ؛ ويحتشد لرحلة الصيف ورحلة الشتاء ؛ ويظهر أن هذه النشأة قد تركت طابعها العميق في نفس « عمرو » الذي أراد أن يزيد في المال والجاه على ما كان عليه أسلافه ؛ والذي لم يتمكن – رغم صحة إسلامه وعمق إيمانه – التحرر من رواسب الفخر الجاهلي بالآباء والأجداد . وقد ظهر ذلك مرات في حديثه ومواقفه ؛ فعندما حاسبه أمير المؤمنين « عمر » وأراد أن يشاطره ماله ، غضب عمرو بن العاص وقال لرسول الخليفة : (قبح الله زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله اني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ؛ وما منهما إلا في نمرة لا تبلغ رسغيه . والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزوراً بالذهب) . وعندما عمل أمير المؤمنين عثمان بن عفان على عزل « عمرو بن العاص » عن ولاية « مصر » دعاه فأنبه وقال له ؛ استعملتك على ظلعك ، وكثرة القالة فيك . فقال عمرو : «كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ، ففارقني وهو عني راض » فقال عثمان : « وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت عليك فاجترأت علي ؛ أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل أن ألي هذا السلطان » فقال عمرو : « دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به . فقد رأيت العاص بن وائل ؛ ورأيت

أباك عفان ، فوالله للعاص كان أشرف من أبيك » . فما زاد عثمان على أن قال : « ما لنا ولذكر الجاهلية » [1] .

لم يكن نصيب «عمرو» من « شرف الأصالة » أقل من نصيبه « في الثراء واليسار » فقد كان « عمرو » من بني «سهم» وهم بطن من عشرة أبطن من قريش انتهى اليها الشرف قبيل الإسلام : هم : هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وتيم وأسد ومخزوم وعدي وجمح وسهم [2] وكان لكل بطن من هذه البطون واجب خاص ، فكان بنو سهم أصحاب الحكومة في قريش ، والحكومة عمل يشبه القضاء ؛ بحيث كان يحتكم القرشيون وغيرهم ممن يفد على « مكة » من العرب إلى زعماء بني سهم فيما يقع بينهم من الخصومات ؛ وهذا يدل على أنهم كانوا أصحاب « رأي وحلم ودهاء » . وكان « لبني سهم » أيضاً الرئاسة على الأموال الخاصة بآلهتهم ، وفي قبضة صاحب هذه الأموال المحجرة » كما كانوا يسمونها أو أموال الأوقاف بحسب التسمية الحديثة يتصرف فيها حسب ما تقتضيه القواعد التي جروا عليها في العمل بأموال أوثانهم : « ولقد اشتهر بنو سهم بالعز والشرف والشعر وفصل الخصومات والكرم واليسار » [3] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٥٦/٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١٤٣/١ ـ ١٤٤ .

(٣) المعارف ، ٥٧٥ .

لم يكن موقف « عمرو بن العاص » من « الإسلام » يوم ظهر « الإسلام » مختلفاً عما كان عليه موقف العرب عامة و « قريش » خاصة . وكان « عمرو » شديد الولاء لما يعتقده – أبوه – وكان « العاص بن وائل » من كبار المناوئين للاسلام، حتى أنه كان أحد سادات قريش الذين ذهبوا إلى « أبي طالب » (يسألونه أن يكف عنهم رسول الله ﷺ [1] كما كان أحـــد زعماء قريش الذين حاولوا صد النبي عن دعوته . وعرضوا عليه كل المغريات ليكف عنهم) [2] (وكان أحد المستهزئين بالرسول ﷺ وبأصحابه) [3] وهو الذي كان إذا ذكر رسول الله ﷺ قال : (دعوه ، فانما هو رجل أبتر لا عقب له . لو قد مات . لقد انقطع ذكره واسترحتم منه) فأنزل تعالى قوله : (إنا أعطيناك الكوثر ، فصلّ لربك وانحر ؛ إن شانئك هو الأبتر) ولكن عداء « العاص بن وائل » للاسلام والمسلمين ؛ لم يدفعه إلى « الحماقة » أو ارتكاب الخطأ في تقويم الأمور ؛ فعندما أعلن « عمر بن الخطاب » اسلامه ، وأراد المشركون به سوءاً تصدى لهم « العاص » وقال لهم : (رجل اختار لنفسه أمراً . فماذا تريدون ؟ .. أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل !) [4] .

سار « عمرو بن العاص » على نهج « أبيه » في عدائـــه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٧٧/١ . (٢) المصدر السابق ٣١٥/١ .

(٣) ابن الأثير ٢٦/٢ . (٤) سيرة ابن هشام ٣٧١/١ .

للاسلام والمسلمين . وعندما اشتد أذى المشركين . أمر الرسول ﷺ « بالهجرة الأولى » الى الحبشة ؛ وهناك استقر نفر من المسلمين غير قليل . واطمأنوا الى ما ضمنه لهم «النجاشي» من « حرية العبادة وحرية المعتقد » وأزعج ذلك المشركين (فتآمرت قريش فيما بينها في الكيد بمن ضوى — نزح — إلى الحبشة من المسلمين . فوجهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهدوها اليه والى بطارقته . وأمروهما أن يسألا « النجاشي » تسليم مَن قَبله وبأرضه من المسلمين ؛ فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك . فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما . فلم يصلا إلى ما أمل قومهما من النجاشي ؛ فرجعا مقبوحين)[1].

وفي السنة الثانية للهجرة . كانت هناك قافلة تجارية كبيرة قادمة من الشام ، وعلى حراستها ثلاثون فارساً لقريش — أو أربعون — فيهم « عمرو بن العاص » وكانت هذه القافلة هي بداية معركة « بدر الكبرى » واشترك فيها «عمرو» فقاتل ضد المسلمين . وفي السنة الثالثة للهجرة وقعت « غزوة أحد » وفيها قاتل «عمرو» أيضاً ضد المسلمين . واستمر في عدائه ؛ ولكنه كان خلال ذلك يتابع ما يحدث من تطورات ، ويطلع على « الدين الجديد » ويتعرف عليه ؛ ولم تكن عملية التحول إلى « الاسلام » وإلى « الايمان » خطوة سهلة بالنسبة لمن كان في

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٣٥ .

« زعامة معسكر الأعداء » ولكن ما أن أقبلت السنة الثامنة للهجرة ؛ حتى أقبل « عمرو بن العاص » و « خالد بن الوليد ابن المغيرة » و « عثمان بن طلحة العبدري » إلى الرسول ﷺ « يبايعونه » ويعلنون اسلامهم ؛ وعندما رأى النبي عمراً وصاحبيه قال :

« ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها » [1] .

لقد تأخر « عمرو » في الانضواء تحت راية المسلمين . وسأل رجل عمراً عن ذلك عندما قال له : (ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت في عقلك ؟ !) قال « عمرو » : « إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم ؛ وكانوا ممن توازي حلومهم الجبال . فلما بُعث النبي ﷺ . فأنكروا عليه لذنا بهم ؛ فلما ذهبوا وصار الأمر الينا ، نظرنا وتدبرنا . فاذا حقٌ بيِّن ، فوقع في قلبي الإسلام . فعرفت قريش ذلك مني ، من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ؛ فبعثوا إلي فتى منهم . فناظرني في ذلك ، فقلت : انشدك الله ربَّك وربَّ من قَبلك ومن بعدك ، أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال نحن أهدى ، قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم ؟ فقال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء . وقد وقع في

---

(١) أسد الغابة ٣/٣٧٢ .

نفسي أن الذي يقوله محمد عن آن البعث بعد الموت ليجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته حق ، ولا خير في التمادي في الباطل »[1] قال عمرو : « ثم جعل الإسلام في قلبي ؛ فأتيت رسول الله ﷺ لأبايعه ، فقلت : أبسط يمينك أبايعك يا رسول الله ، فبسط يده ؛ ثم إني قبضت يدي ؛ فقال : ما لك يا عمرو ؟! فقلت أردت أن أشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : أشترط أن يُغفر لي ! فقال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ؛ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ؛ وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ . فقد رأيتني ما من أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه ؛ ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني اجلالاً له »[2] وعرف الرسول ﷺ حقيقة موقف «عمرو» فكان قوله :

« أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »[3] .

ما كان «عمرو» يستقر في «المدينة» حتى كلفه الرسول ﷺ بقيادة سرية من المهاجرين والأنصار « عددهم ثلثمائة رجل وعدتهم ثلاثون فرساً » بمهمة التوجه الى أرض بلى وعذره « لدعوة الناس للاسلام » وردع أولئك الذين كانوا

---

(١) الاصابة ٥/٢ .

(٢) فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٣ .

(٣) حديث صحيح رواه الإمام أحمد ٤/١٥٥ والترمذي ٢/٣١٦ .

يفكرون في مهاجمة « المدينة المنورة » من جموع «قضاعة» .
وسار « عمرو » والسرية معه « يسيرون في الليل ويكمنـــون في النهار » حتى اقتربوا « من ذات السلاسل » وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، وهناك عرف «عمرو» تفوق خصمه ، فأرسل الى الرسول يستمده ، فبعث اليه رسول الله ﷺ « أبا عبيدة بن الجراح » في المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبي عبيدة حين وجهه : « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إن رسول الله قد قال لي : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتني أطعتك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وانما أنت مددٌ لي ، قال : فدونك ! فصلى عمرو بن العاص بالناس . وسار « عمرو » حتى وطيء بلاد « بَلِي » ودوخها وأتى إلى أقصى بلادهم وبلاد « عُذرة » و « بَلْقَين » ثم لقي جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ؛ ولما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم ؛ فأرادوا مطاردتهم ، فحال «عمرو» بينهم وبين ذلك ؛ وكانت ليلة شديدة البرد ، فمنعهم من أن يشعلوا ناراً ، فلما عاد اعتذر إلى رسول الله ﷺ بأنه كره النار خشية أن يراها عدوهم ؛ فيرى قلتهم فيطمع فيهم ، وكره أن يتبعوهم خوفاً من أن يكون لهم مدد . فحمد رسول الله ﷺ أمره ، وامتدح عمله .

وكانت غزوة ذات السلاسل هذه أول عمل قيادي يمارسه

« عمرو بن العاص » بعد إسلامه [1] .

كان « فتح مكة » في السنة الثامنة للهجرة أيضاً » «٦٢٩ م» وأرسل الرسول ﷺ من يزيل الأصنام وكان هــدم سواع من نصيب « عمرو بن العاص » الذي مضى لتنفيذ واجبه ، فلما انتهى إلى الصنم قال له السادن : ما تريد ؟ قال هدم سُواع ، قال السادن : لا تطيق تهدمُه ، قال له « عمرو بن العاص » ، أنت في الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد في خزائنه شيئاً ، ثم قال «عمرو» للسادن : كيف رأيت ؟ قال : (أسلمتُ والله) [2] .

بعث ، رسول الله ؛ ﷺ ؛ عند منصرفه من حجّــة الوداع عمرو بن العاص الى (جَيْفَرْ) ملك « عُمانْ » بمهمة « الدعوة للاسلام » وتوجه «عمرو» ولما وصل «عمان» استقبله « عبد بن الجلندي » أخو الملك وهما من « الأزد » وكان « عبد » هذا أحلم من أخيه وأسهل خلقاً ، فقال له عمرو : إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك ؛ فقال : أخي المقدم علي بالسن والملك ، وأنــا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك وعندما قابل « عمرو » الملك « جَيْفَرْ » دفع له كتاب رسول الله ؛ ﷺ ؛ فقرأه حتى آخره ، ثم سلمه لأخيه ؛ فقرأه مثل قراءته . واستمهله الملك ؛ ثم أعلن له موافقته على «الالتزام

---

(١) تاريخ الطبري ٣٢/٣ وابن الأثير ١٥٦/٢ .

(٢) الطبري ٦٦/٣ وابن الأثير ١٧٧/٢ .

بالاسلام» وأقام «عمرو» في «عمان» يحكم بين أهلها ، ويأخذ الصدقة من أغنيائهم ليردها على فقرائهم ؛ ويعلمهم أمور دينهم ؛ وبقي فيها حتى وافته أخبار وفاة الرسول ، فقرر العودة إلى المدينة .

غادر «عمرو» مقره في «عمان» ومضى حتى إذا وصل « البحرين » وجد « المنذر بن ساوى » في الموت ، فقال له المنذر : « أشر عليّ في مالي بأمر لي ولا عليّ » ، قال : تصدق بعقار صدقة تجري من بعدك ، ففعل ؛ ثم خرج من عنده فسار في بني تميم ؛ ثم خرج إلى بلاد بني عامر ؛ فنزل على « قرة بن هبيرة » وقرة يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً — يريد الردة — وعلى ذلك بنو عامر كلهم إلا خواص . واستقبل « قرة » عمرو بن العاص ، فذبح له وأكرم مثواه ، فلما أراد الرحلة ، خلا به « قرة » فقال : « يا هذا — ان العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم » فقال عمرو : « أكفرت يا قره » ... أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها ! موعدك حفش أمك ؛ فوالله لأوطئن عليك الخيل [1] ومضى « عمرو »

(١) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيها زينتها ؛ يريد تحقيره. ويقال : الحفش بيت تنفرد فيه النفساء . وقد وقع «قرة» بعد ذلك في أسر « خالد بن الوليد » أثناء حروب الردة فأرسله إلى الخليفة، فاعتذر إنه خاف مسيلمة وانه لم يرتد في الباطن ، فعفا عنه أبو بكر وحقن دمه (الطبري ٢٥٨/٣ — ٢٦٠) .

إلى « المدينة المنورة » فقابل الخليفة وأخبره بخبر القوم المرتدين .

عقد أبو بكر أحد عشر لواء « لحرب المرتدين » وعقد « لعمرو بن العاص » من بينها لواء الحرب ضد المرتدين من « جماع قضاعة ووديعة والحارث » . ومضى عمرو « إلى قضاعة » وحاربهم حتى انتصر عليهم ، وقضى على المرتدين ، وأقام « في عمان » يعيد تنظيم أمور المسلمين ، وينتظر أمر الخليفة .

انتهت حروب الردة ؛ وانتصر المسلمون ؛ وعادت للعرب وحدتهم في جزيرتهم ؛ وسيطرت عليهم « أخوة الإسلام » حتى أصبحوا كأنهم أبناء « أب واحد وأم واحدة » وأخذ الخليفة في عجم عيدانه ؛ واختيار أصلبها وأقواهـــا لحمل رسالة الإسلام إلى « الشام والعراق » وكتب الى عمرو ابن العاص : « إني كنت قد رددتك على العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاك إياه مرة ، وسماه لك أخرى ، مبعثك إلى « عمان » إنجازاً لمواعيد رسول الله ... وقد أحببت ــ أبا عبد الله ــ أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ؛ إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبَّ اليك » فكتب اليه عمرو : **« إني سهم من سهام الإسلام ؛ وأنت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها ؛ فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي »** [1] .

(١) الطبري (٣٨٩/٣) .

وطلب الخليفة الى « عمرو » القدوم الى المدينة في رسالة جاء فيها : (إني قد استعملتك على من مررت به من « بلي وعذرة وسائر قضاعة » ومن سقط هناك من العرب فاندبهم الى الجهاد في سبيل الله ؛ ورغبهم فيه ؛ فمن تبعك منهم فاحمله وزوده ، ورافق بينهم ، واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلها) ومضى « عمرو » بمن معه الى المدينة حيث عقد له الخليفة « راية الجهاد – فكان عمرو بن العاص أول من سار من عمال الخليفة ، وأمره أن يسلك على « أيلة » عامداً «لفلسطين» وكان العقد لكل أمير من أمراء الشام في بداية الأمر ثلاثة آلاف رجل ، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة . وكان في جيش «عمرو» أناس كثير من المهاجرين والأنصار – ومن أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب .

وبينما كان « أبو بكر » يجهز الجيوش ، انصرف « عمرو » إلى بعض شؤونه قبل أن يتوجه إلى الشام . وقابل « ابن الخطاب عمر » فقال له : « يا أبا حفص ! أنت تعلم شدتي على العدو ؛ وصبري على الحرب . وقد رأيت منزلتي عند رسول الله ﷺ ؛ وإني لأرجو أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء. فلو أنك كلمت الخليفة أن يجعلني أميراً على أبي عبيدة » فقال عمر بن الخطاب : مـا كنت بالذي أكلمه في ذلك ، فانه ليس على أبي عبيدة أمير ، ولأبو عبيدة أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك ، والنبي ﷺ قال فيه « أبو عبيدة أمين

الأمة » فقال عمرو : « ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه ؟ » فقال عمر : « ويلك يا عمرو ! إنك لا تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ، ولا تطلب إلا شرف الآخرة ووجه الله تعالى » فقال عمرو : « ان الأمر كما ذكرت » .

ثم ان الخليفة استدعى « عمرو » وقال له : « قد وليتك هذا الجيش ؛ فانصرف إلى أرض «فلسطين» وكاتب أبا عبيدة ؛ وانجده اذا أرادك ، ولا تقطع أمراً إلا بمشورته » . ونظم « عمرو » قواته للتحرك ودفع مقدمة أمامه بقيادة « سعيد بن الحارث السهمي » ؛ وخرج الخليفة أبو بكر الصديق – كعادته – لوداع الجيش ؛ وهو يمشي إلى جنب راحلة « عمرو بن العاص » وأوصاه فقال له : « يا عمرو ! اتق الله في سر أمرك وعلانيته ؛ واستحيه ، فانه يراك ويرى عملك ؛ وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ؛ ومن كان أعظم غناء عن الاسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ؛ وأرد بما تعمل وجه الله ؛ وكن والداً لمن معك ؛ ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم ، وكن مجداً في أمرك ؛ واصدق اللقاء اذا لاقيت ، ولا تجبن وتقدم في الفلوم [1] وعاقب عليه ؛ واذا وعظت أصحابك فأوجز ؛ وأصلح نفسك

(١) الفلوم : تجاوز حدود ما أمر الله به من قواعد الإسلام ، أو التقصير في طاعة القائد .

تصلح لك رعيتك »[1] .

ووجه أبو بكر إلى الشام أربعة جيوش فسمى لأبي عبيدة ابن عبد الله بن الجراح « حمص » وليزيد بن أبي سفيان «دمشق» ولشرحبيل بن حسنة «الأردن» ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مجزز « فلسطين » وتوجه كل قائد بجيشه إلى « منطقة العمليات » التي حددها له الخليفة ؛ وسار « عمرو بن العاص » حتى نزل « بغمر العربات » من « غور فلسطين » .



(١) تهذيب ابن عساكر ١٢٩/١

٢ - عمرو بن العاص في الشام

جعل « عمرو بن العاص » من « غمر العربات » قاعدة له . وأخذ في تنظيم عملياته ؛ ووجد أن في مواجهته قوات كبيرة تزيد على ٧٠ ألفاً من الروم « البيزنطيين » كان يقودهم « تذارق » أخو الأمبراطور «هرقل» . وأدرك أنه لا يستطيع « حسم الصراع المسلح » مع ما للروم من تفوق عددي كبير . فكتب إلى الخليفة « يذكر له أمر الروم ويستمده » .

أدرك امبراطور الروم «هرقل» خطورة الموقف ؛ فوجه أربعة جيوش على محاور مختلفة ؛ بهدف ضرب كل جيش من جيوش المسلمين بمعزل عن الجيوش الأخرى ؛ وكتب أمراء الجيوش الإسلامية بعضهم لبعض ؛ فاقترح عليهم عمرو بن العاص الاجتماع وذكر ذلك في رسالة جاء فيها :

« إن الرأي لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلة ؛ واذا نحن تفرقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة

عدونا»وكتبوا إلى أبي بكر ؛ فأجابهم مثل جواب «عمرو» وتحرك أبو عبيدة ؛ وشرحبيل ؛ ويزيد بن أبي سفيان حتى نزلـــوا «الجولان» وسار «عمرو» من « غمر العربات » حتى نزل معهم « واجتمعت قوات المسلمين بأجنـــادين » وعسكروا عليها ، ثم عقدوا مؤتمراً تقرر فيه الانسحاب حتى «اليرموك» وفي هذه الأثناء كان سيل الامداد مستمراً . كما جاء دعم جديد من العراق بقيادة خالد بن الوليد . وعادت قوات الروم فتجمعت . ونزل الروم في مواجهة المسلمين ؛ وفي موقع محصور « بوادي اليرموك » فما كان من « عمرو بن العاص » إلا أن قال : « أيها الناس ، أبشروا ... حصرت والله الروم ؛ وقل ما جاء محصور بخير » .

نظم « خالد بن الوليد » قوات المسلمين لمعركة « اليرموك الخالدة » وتولى فيها « عمرو بن العاص » قيادة الميمنة ؛ وكان له دور كبير في الاعداد للمعركة وقيادتها والقتال فيها .

توجه المسلمون – بعد اليرموك – إلى « دمشق » وأقاموا على حصارها ، وقسموها إلى « قطاعات » وكان « عمرو بن العاص » و « شرحبيل » يقابلان جند الروم « في فحل » حتى إذا فرغ المسلمون من فتح «دمشق» ، توجه « أبو عبيدة ، وخالد » بقواتهما لدعم « عمرو بن العاص » في فلسطين .

تجمعت بقايا الروم في « فِحْل » وكانت قوتهم ٨٠ ألفاً يقودهم « سقلار بن مخراق » الذي نظم الدفاع عن «بيسان»

وانضمت قوات «أبو عبيدة» إلى شرحبيل — على اعتباره قائد منطقة العمليات . فأعاد «شرحبيل» التنظيم ودفع « خالد بن الوليد » على المقدمة وتولى « أبو عبيدة وعمرو بن العاص » قيادة المجنبتين . ولما اقترب جيش المسلمين ، دمر « سقلار » مجاري المياه ، وأغرق المنطقة التي تحولت إلى مستنقع طيني من الصعب التحرك فيه . وتوقف جيش المسلمين فترة من الوقت . وظن « سقلار » أنه يستطيع مباغتة جيش المسلمين فقام بهجوم مفاجيء ، ولكن « شرحبيل » (لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية) فتلقى المسلمون الصدمة واستمرت المعركة الليل بطوله ونهار اليوم التالي ؛ ثم انتزعت قوات المسلمين النصر . وطاردوا «الروم» حتى الرِّدغة . أو « الرِّداغ » ولم يفلت من الثمانين ألفاً إلا الشريد . وهذه هي المعركة المعروفة في التاريخ باسم « غزاة فِحْلاً ، أو ذات الرِّدغة أو بيسان » وانصرف بعدها أبو عبيدة إلى «حمص» فيما توجه عمرو بن العاص ؛ وشرحبيل إلى « بيسان » وصالحوا أهلها على مثل صلح أهل دمشق بعد معركة قصيرة وحاسمة .

بقيت المدن الفلسطينية صامدة تدافع عنها حاميات قوية بقيادة أدهى رجال « الروم — البيزنطيين » وهو المعروف باسم « أرطبون » والذي كان قد ركز دفاعه على « الرملة » و «ايلياء» ووضع بهما حاميات قوية .

كتب « عمرو بن العاص » إلى أمير المؤمنين « عمر بن



مسرح عمليات عمرو بن العاص ١٢ - ١٧ هـ

الخطاب » بعد أن أصبح عمر خليفة للمسلمين ، وشرح له موقف « أرطبون » وقواته ؛ واستمده ــ طالباً الدعم ــ حتى يستطيع انجاز واجباته ، وعندما وصلت الرسالة إلى أمير المؤمنين قال : (قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ؛ فانظروا عم تنفرج)[1] .

وأصدر أمير المؤمنين أوامره إلى يزيد بن أبي سفيان بتوجيه « معاوية » لفتح « قيسارية » وتوجيه « علقمة بن مُجَزِّز » إلى غزة بهدف « اشغال الروم عن عمرو » الذي نظم قواته ، ودفع علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن فلان العكي لقتال أهل « ايلياء » واشغالهم . كما بعث « عمرو بن العاص » أيضاً مجموعة قتالية بقياد أبي أيوب المالكي إلى « الرملة » لقتال حاميتها التي كان يقودها « تذارق » ، وانصرف «عمرو» لقتال الكتلة الرئيسية من قوات الروم والتي كانت متمركزة في « أجنادين » بقيادة « أرطبون » .

استمر الصراع بعضاً من الوقت دون « الوصول إلى الحسم » وكان « عمرو » في حاجة لمزيد من المعلومات حتى يستطيع معرفة نقاط الضعف في دفاع خصمه ؛ ولم يتمكن من الوصول الى هذه المعلومات بمختلف الوسائل نظراً لتدابير الحيطة القوية التي فرضها « أرطبون » فقرر « عمرو » الذهاب

---

(١) الطبري ٦٠٥/٣ . وفيه تعبير صحيح عن حقيقة الحرب « كحوار ارادات » تنتصر فيه الارادة الأقوى والأكثر دهاء .

بنفسه للاستطلاع ؛ ودخل على « أرطبون » كرسول من قبل « عمرو » وأبلغه ما يريد ؛ وسمع كلامه ؛ وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد . وقال «أرطبون» في نفسه : والله إن هذا لعمرو ، أو أنه للذي يأخذ عمرو برأيه ؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظمَ عليهم من قتله ، ثم دعا حرَسياً ؛ وهمس اليه بقتله ؛ وقال له اخرج فأقم في مكان كذا وكذا ؛ فإذا مَرَّ بك فاقتله ، وفطن له عمرو ، فقال : قد سمعتَ مني وسمعت منك ، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعاً ؛ وأنا واحد من عشرة ؛ بعثنا « عمر بن الخطاب » مع هذا الوالي لنكاتفه « نعاونه ونساعده » ويشهدنا أموره . فأرجع فاتيك بهم الآن ؛ فاذا رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ؛ وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم . وكنتَ على رأس أمرك ، فقال : نعم ، ودعا رجلاً فسارّه « همس في أذنه » وقال له : اذهب إلى « فلان » فرده إليّ فرجع إليه الرجل ، وقال لعمرو : انطلق فجيء بأصحابك ؛ فخرج عمرو ؛ ورأى ألا يعود لمثلها [1] . وعلم الرومي بأن « عمرو » قد خدعه فقال : « خدعني الرجل ؛ هذا أدهى الخلق » فبلغت أمير المؤمنين « عمر » فقال « غلبه عمرو ؛ لله در عمرو » .

نظم « عمرو » هجوماً قوياً بعد أن عرف نقاط الضعف

(١) وكان كثيراً ما يردد بعد ذلك « لا والذي نجاني من أرطبون » .

في دفاع عدوه . وقاد « أرطبون » قواته في معارك طاحنة « واقتتلوا قتالاً شديداً كقتال اليرموك » ، واستمر الصراع في «اجنادين» حتى كثرت القتلى بينهم . ثم إن « أرطبون » انهزم في الناس فأوى إلى « إيلياء » — بيت المقدس — ونزل «عمرو» بأجنادين . ولما أتى «أرطبون» ايلياء ، أفرج له المسلمون حتى دخلها . ثم أزالهم إلى « أجنادين » ، وانضم علقمة ، ومسروق ومن لحق بهما من قوات الدعم إلى قوات عمرو بن العاص في « أجنادين » [1] .

ما أن استقر أرطبون في « إيلياء » حتى كتب إلى «عمرو» بأجنادين رسالة جـــاء فيها « إنك صديقي ونظيري ؛ أنت في قومك مثلي في قومي ؛ ووالله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ؛ فارجع ولا تَغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة » وأجابه عمرو : « جاءني كتابك ، وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خَصْلة تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدي عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً — لوزرائه — فأقرِئهم كتابي ، ولينظروا فيما بيني وبينك » . وأرسل « عمرو » من يتجسس له الأخبار ؛ فعلم أن أهل « بيت المقدس » مصممون على عدم الاستسلام

---

(١) أجنادين : موقع معروف من نواحي «فلسطين» وهو قريب مـــن «الرملة» و«الرملة» مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ١٨ ميلاً . معجم البلدان ١/١٢٦ و ٤/٢٨٦ .

إلا للخليفة عمر ؛ فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة يستمده ويقول : « إنني أعالج حرباً كؤوداً هدوماً ، وبلاداً ادُّخرت لك ؛ فرأيك » . وما أن وصلت الرسالة إلى الخليفة حتى غادر « المدينة المنورة » وتوجه إلى « الجابية » وكان في استقباله أمراء المسلمين ، فيما عدا « عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة » فانهما لم يتحركا من مكانهما ، وفتحت «إيلياء» صلحاً . وعقد الصلح أمير المؤمنين عمر مع أهالي بيت المقدس بعد أن هرب منها « أرطبون » [1] وعين أمير المؤمنين والياً على «إيلياء» — بيت المقدس — هو علقمة بن مجزز . كما عين علقمة بن حكيم على «الرملة» بعد أن صالحه أهلها على مثل صلح « بيت المقدس » وهنا غادر شرحبيل وعمرو بن العاص «أجنادين » وتوجها إلى الجابية ، فوصلاها وكان أمير المؤمنين عمر «راكباً» فقبلا ركبتيه ؛ وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما .

انصرف « عمرو بن العاص » لتنظيم أمور فلسطين بعد أن تم له فتح كل مدنها وأشهرها « غزة » و « سبسطية » ،

---

(١) كان «أرطبون وتذارق » قد هربا إلى مصر — خلال هذه الفترة ؛ وعندما علما بقدوم أمير المؤمنين «عمر» إلى الجابية — ثم هرب «أرطبون» بعد فتح مصر وانضم إلى «قوات الروم» وأخذ في الاغارة على ثغور بلاد المسلمين إلى أن قتله في معركة « احـــدى الصوائق » رجل من قيس يقال له ضريس . (الطبري) ٣/٦٠٨ و ٦١٢ .

و «نابلس» و «اللد» و «يبنى» و «عمواس» و «بيت جبرين» و «يافا» و «رفح» ولم تبق هناك غير « قيسارية » ممتنعة على المسلمين . وفي عام ١٧ هـ . قام أمير المؤمنين « عمر » ، بالتقدم إلى « الجابية » والنزول فيها لمتابعة أمور الدولة وإعادة تنظيم شؤونها .

وتصادف في تلك الفترة انتشار طاعون «عمواس» الذي قضى على ٢٥ ألف مسلم . واجتمع عمرو بن العاص بالخليفة عمر ؛ واستأذنه في فتح مصر وكان مما قاله له : (انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم) فتردد الخليفة عمر ؛ وبعد الحاح وافقه . وكان ابن العاص قد سافر إلى مصر في التجارة ؛ واطلع على احوالها في الجاهلية ؛ وعرف ما بها من خيرات ، ولكن الخليفة عمر لم يوافق بصورة جازمة ؛ وإنما اشترط على « عمرو بن العاص » التمهل في الأمر ؛ وانتظار القرار النهائي. وكان مما قاله لعمرو ابن العاص (إني مرسل اليك كتاباً : فان أدركك وأمرتك فيه بالانصراف عن « مصر » ، قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ؛ وان دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره) .

ومضى « عمرو » بجيش لا يزيد على أربعة آلاف مقاتل ميمماً شطر وادي النيل .

جدول عمليات فتح مصر [١]

تسلسل الأحداث	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	موجز الأحداث
١	١٨ هـ	١٢ كانون الأول «ديسمبر» ٦٣٩م	وصول عمرو بن العاص إلى حدود مصر
٢	١٩ هـ	٢٠ كانون الثاني «يناير» ٦٤٠م	فتح الفرما
٣	١٩ هـ	أيار « مايو » ٦٤٠ م	غزو اقليم الفيوم
٤	١٩ هـ	٦ حزيران «يونيو» ٦٤٠ م	وصول الدعم لقوات عمرو بن العاص
٥	١٩ هـ	تموز « يوليو » ٦٤٠ م	بدء حصار حصن بابليون
٦	١٩ هـ	ايلول «سبتمبر» ٦٤٠ م	توقيع المعاهدة بين «المقوقس» و« عمرو بن العاص » ورفض «هرقل» لهذه المعاهدة واستمرار الحصار .

(١) وفقاً لما جاء في « فتوح مصر والمغرب » ابن الحكم .

تسلسل الأحداث	السنة الهجرية	التاريخ الميلادي	موجز الأحداث
٧	٢٠ هـ	٦ نيسان «ابريل» ٦٤١ م	استسلام حصن «بابليون» وهو اليوم الذي يؤرخ به الفتح الإسلامي لمصر .
٨	٢٠ هـ	١٣ أيار «مايو» ٦٤١ م	فتح «نقيوس»
٩	٢٠ هـ	حزيران «يونيو» ٦٤١ م	بدء الهجوم على الاسكندرية
١٠	٢٠ هـ	٨ تشرين الثاني «نوفمبر» ٦٤١م	استسلام الاسكندرية
١١	٢١ هـ	١٧ أيلول «سبتمبر» ٦٤٢ م	اجلاء الروم عن الاسكندرية
١٢	٢٥ هـ	نهاية عام ٦٤٥ م	ثوزة الاسكندرية ودعم الروم لها
١٣	٢٦ هـ	صيف ٦٤٦ م	الفتح الإسلامي الثاني للاسكندرية

٣ - فتح مصر وولايتها

آ - الوضع العام قبل الفتح .

أ - الموقف السياسي والديني :

انتصر « أوكتافيوس » على جيش أنطونيوس وكليوبطرة في سنة ٣١ ق . م . وذلك في عهد مؤسس الأمبراطوريــة الرومانية « أوغسطس قيصر » [١] واستولى الرومان على مصر

---

(١) أوغسطس قيصر AUGUSTE (CAESAR OCTAVIANUS) امبراطور روماني عرف في البداية باسم أوكتاف OCTAVE وهو الحفيد الأصغر « ليوليوس قيصر » ولد في «روما» قبل ميلاد السيد المسيح ب ٦٣ سنة ؛ وتوفي في نول في سنة ١٤ م . واستطاع في البداية تحقيق انتصارات رائعة مع أنطونيوس وليبيد فوحد ايطاليا والغرب ثم أصبح السيد الأوحد - الديكتاتور - بعد انتصاره على «أنطونيوس» « في معركة اكتيوم » سنة ٣١ ق . م . وتلقى لقب «أوغسطس» أو «العظيم» في سنة ٢٧ ق . م . وقضى على عوامل التفرقــة =

في السنة التالية « ٣٠ ق . م . » وجعل « أوغسطس » من «مصر» مخزناً يمد الامبراطورية بمتطلباتها من المواد التموينية والغذائية . وتدهور الموقف في « مصر » من الناحيتين العلمية والاجتماعية ؛ وفقد المصريون السلطة في بلادهم بعد أن حرموا من احتلال مراكز السلطة ؛ وزادت الضرائب زيادة كبيرة حتى شملت الأفراد والممتلكات ؛ فكانت تجبى على الصناعات والأفراد وحتى الأراضي والماشية . ولم تكن الضرائب مفروضة على أنواع محددة من السلع ؛ وإنما كانت تجبى من المارة ؛ رجالاً ونساء ؛ تجاراً وغير تجار ؛ ومن عمال السفن وزوجات الجنود ، وحتى أثاث المنازل . ولم تقف تلك الضرائب على الأحياء ، وإنما تجاوزتها إلى الأموات ، حتى إنه لم يكن يسمح بدفن الميت الا بعد دفع ضريبة معينة . وألزم المصريون أيضاً بايواء من يمر بهم من الموظفين المدنيين والعسكريين الرومانيين ؛ وتزويدهم بما يحتاجون اليه ؛ وتوفير أسباب الراحة لهم في حلهم وترحالهم ، كما ألزموا في السنين الأخيرة بأن يقوموا بتقديم الطعام للجنود . وقد أدت هذه الأعباء إلى ضعف

= والانقسامات التي كانت تحدثها الاختلافات في المجالس التشريعية الرومانية ، وقسم ايطاليا إلى أقاليم حتى تسهل إدارتها والسيطرة عليها . وحتى يتم له فرض الضرائب المناسبة ، وأدى ذلك إلى المركزية القوية في الدولة . ووجه حملات إلى إسبانيا وأوربا حقق فيها انتصارات رائعة وعرف عهده بعهد الرخاء والعمـــران والازدهار الاقتصادي .

المصريين وخمولهم ، وازداد سخطهم على الحكم الروماني [1] .

كانت الامبراطورية تدين « بالوثنية » يوم احتلت مصر ، وما لبث الدين المسيحي أن أخذ في الانتشار على امتـــداد الامبراطورية ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد « الامبراطور قسطنطين » (٣٠٦ – ٣٣٧م) الذي اعترف بالديانة المسيحية وساوى بينها وبين الأديان الأخرى سنة ٣٢٣م . وتجاوز ذلك عندما منح المسيحيين بعض الامتيازات إلى أن جعل الامبراطور « تيودوسيس » (٣٧٨ – ٣٩٥م) المسيحية هي الدين الرسمي للدولة . ولم يكن هذا الإجراء في واقعه سوى عملاً سياسياً أكثر منه دينياً . اذ كان الهدف في الواقع هو ربط أجزاء الامبراطورية برابطة قوية يمكن لها تحقيق الوحدة التي كان يتطلع اليها ، فوجد في الدين المسيحي تلك الرابطة التي كان يريدها . لكن هذه الوحدة لم تتحقق ، فقد ظهر الخلاف بين جماعة أديوس الـــذي كان يقول أن المسيح أشرف مخلـــوق ولكنه دون الله ، وأثنـــاسيوس الذي كـــان يرى أنه من روح الله وأنه يساويه في اللاهوت وأن العلاقة بينهما أبدية « وهو ما يعبر عنه بمبدأ التثليث » وأفاد الأمبراطور من هذا الخلاف فطلب عقد « مجمع نيقية » في آسيا الصغرى سنة ٣٢٥ م بهدف

---

(١) HISTORY OF EGYPT UNDER ROMAN-RULE, MILNE, PP. 115-125

التوفيق بين هذه الآراء . وكان من نتيجة ذلك ظهور انقسام جديد بين المسيحيين الارثوذكس (أو المتمسكون بالدين القويم . وأصحاب الرأي القويم) وبين الكاثوليك . وهم أتباع الكنيسة الجامعة ؛ أي « كنيسة روما » ومن أنصار اثناسيوس . وهكذا لم يكد المصريون يتخلصون من الصراعات بين الوثنية والمسيحية حتى وقعوا تحت ثقل الصراعـات المذهبية . فقد كان المسيحيون في مصر من أنصار « الأرثوذكسية » في حين كان أباطرة « روما » كاثوليكيين . وكان لا بد أن يضاف إلى ذلك اضطهاد الدولة « للوثنيين » بعد أن تبنت الدولة الديانة المسيحية .

وكان في مصر عدد غير قليل ممن بقوا على الوثنية . وظهر بعد ذلك خلاف جديد عندما اعتنق الأقباط في « مصر » مذهب « يعقوب البراذعي » وحمل أتباعه اسم « اليعاقبة » في حين كان الروم يدينون بمذهب الملكيين [١] مما دفع الامبراطور الى عقد مجمع « قونية » مرة أخرى في سنة ٤٥١ م وذلك في عهد مرقيانوس (٤٥٠ — ٤٥٧ م) . وهكذا فعندما ظهر الاسلام

---

(١) المذهب اليعقوبي : ويقول أتباعه بامتزاج الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح وذلك بعد التجسد ، أما المذهب الملكي : فيقول أتباعه أن الابن مولود من الأب قبل كل الدهور وأنه غير مخلوق ، اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح .

كان سكان «مصر» يشكلون طبقتين متميزتين ؛ **الأولى : طبقة** الروم « البيزنطيين » ومركزهم « الاسكندرية » وأكثرهم من رجال الدولة والجند والتجار ورجال الدين.والطبقة **الثانية :** هي طبقة الأقباط من سكان البلاد الأصليين وعاصمتهم « بابليون » وكان يخالط هذه الطبقة بعض المولدين من اليونان – البطالسة – الذين كانوا قد أقاموا في « مصر » لمدة ثلاثة قرون قبل احتلال « الرومانيين » لمصر . بالاضافة الى الوافدين إلى مصر أو المقيمين فيها من تجار وغيرهم وفيهم من العرب أبناء الشام واليمن والعراق والنوبة وافريقيا . وعلى الرغم من بقاء « مصر » تحت حكم الرومان لمدة ستة قرون ، فقد كان هناك انفصال بين الطبقتين في اللغة والعادات ؛ بسبب اعتداد الرومان ؛ كمحتلين ؛ وعدم اختلاطهم الا بقدر محدود مع السكان الأصليين .

ب – الموقف العسكري عشية الفتح :

سقطت الدولة الرومانية الغربية في سنة ٤٧٦ م . وورثت الدولة الرومانية الشرقية « البيزنطية » جميع فضائل الدولة الرومانية ؛ وحتى ممتلكاتها ؛ وأخذت الدولة البيزنطية في إعادة التنظيم ؛ ووصلت الامبراطورية أوج قوتها في عهد «جوستينيان» (٥٢٧ – ٥٦٥م) حيث عمل جوستينيان ، على استبعاد الحرس المتحرك ، وحاول ملاءمة تنظيم الجيش مع العدو الرئيسي

المحتمل الذي لم يكن سوى الخيالة النبالة . وأصبحت الخيالة الثقيلة هي السلاح الفعال الأول بعد أن جهزت للصدمة والرمي . وأصبح الخيال البيزنطي الثقيل المحمى بدروع من الزرد يحمل قوساً قوياً وسيفاً ورمحاً طويلاً . وأصحبت المشاة الثقيلة المحمية بدرع من الزرد تحمل بدورها القوس والسيف والرمح الطويل . وظهرت مصالح الادارة والهندسة بشكل منظم جيد لأول مرة . وقسمت الجيوش إلى قطعات من سلاح واحد ؛ وأسلحة مختلفة ومؤلفة من أقسام ثلاثة (١ — الخيالة . ٢ — الفرقة المختلطة . ٣ — الجمهرة المختلطة) . وكانت قوات الخيالة منظمة على شكل ألوية ؛ يضم اللواء منها ٣ آلاف فارس ؛ وينقسم اللواء إلى ثلاثة أفواج ؛ في كل فوج منها ثلاث سرايا . أما الفرقة المختلطة فكانت تضم ٢٠ ألف رجل موزعين الى ثلاثة ألوية ، في كل لواء منها ثلاثة أفواج . ويتألف الفوج من عشر سرايا نصفها من الخيالة ونصفها الآخر من المشاة . وكانت الجمهرة المختلطة تتألف من ١٣٠٠ فارس و ٤ آلاف جندي مشـــاة .

وكان التسلسل العسكري منظماً على الشكل التالي : «البطريق» قائد ثلاثة ألوية — أو عشرة آلاف مقاتل وبأمرة البطريق قائدان يسمى كل منهما « طومرخـــان » يتولى قيادة خمسة آلاف جندي — أو لواء — وبأمر كل « طومرخان » خمسة ضباط « طرنجاريه » يقود الضابط منهم ألف رجل . وبأمرة الضابط من هؤلاء خمسة ضباط « قومس » يتولى الواحد

منهم قيادة مائتي جندي وبأمرة كل ضابط من هؤلاء عدد من ضباط الصف « قمطرح » يقود الواحد منهم عشرة رجال .

كانت القوات « البيزنطية » منظمة على أساس « المناطق العسكرية » بحيث تضم كل منطقة مجموعة من الفرق المدعمة بحاميات الحدود المسلحة بالأسلحة الدفاعية . أما الاحتياط العام فكان مؤلفاً من جمهرات (قوات مختلطة) مقسمة إلى جميهرات مختلطة. وكانت بعض المناطق العسكرية الهامة — المرتبطة بتحصينات الممرات الاجبارية — ممسوكة بالقطعات المحاربة بصورة دائمة . ونظراً لتعرض الامبراطورية البيزنطية للهجمات الدائمة ، فقد أقامت على امتداد حدودها في مصر — كما في الغرب — وعلى امتداد الصحراء . مجموعة متصلة من الحصون « كجدار الصين » أطلقت عليها ليمات « مجموع ليم » وكان الليم يضم المؤن والمواد الضرورية للدفاع الطويل ريثما تتدخل القوات المتحركة ضد القوات المعادية التي تقوم بالهجوم .

وكانت الاستراتيجية البيزنطية تعتمد على الحيطة والأمن اعتماداً كلياً . كما كانت تعطي الاستطلاع اهتماماً خاصاً . وفي حالة الهجوم كانت حاميات المناطق العسكرية تتحرك لتتلاقى عند العدو ، ثم تحاول الاشتباك معه وتطويقه . أما في الدفاع فكانت الجمهرات المختلطة وقوات المناطق العسكرية تتجمع على الطريق العسكري الآسيوي لتقوم بالهجوم المعاكس .

وكانت « الامبراطورية البيزنطية » بحكم تكوينها قوية في

مجال « القدرة البحرية » ومن المعروف أن البحر الأبيض المتوسط كان يحمل خلال تلك الفترة اسم « بحر الروم » وكان الأسطول البيزنطي يضمن الاتصال مع « مصر » ومع جميع المستعمرات البيزنطية في شمال أفريقيا .

كان في « مصر » عشية الفتح الاسلامي أكثر من خمس فرق « ما يزيد على ١٠٠ ألف جندي » وكان هؤلاء على درجة عالية من الكفاءة والتدريب . وبالاضافة الى ذلك فقد كان هناك جيش من أبناء البلاد ؛ بقيادة ملكها المقوقس ؛ ولكن هذا الجيش كان دون قوة جيش الروم — قوة وتنظيماً — كما أن هنالك قوة من «الروم» انضمت إلى مصر بعد احتلال المسلمين «للشام» ولقد أثر انقطاع الاتصال البري بين «البيزنطيين» فيما وراء الدروب وبين مصر على الحاميات البيزنطية الموجودة فيها ؛ إلا أن بقاء القدرة البحرية البيزنطية ضمن الاتصال بهذه الحاميات بقوة وفاعلية .

ومن المحتمل هنا القول إن الصراعات الدائمة بين القوتين العسكريتين « البيزنطية والفارسية » قد أضعف القوتين ؛ ولكن هذا الاحتمال الذي اعتمده الغربيون باستمرار لانتقاص الكفاءة الحربية العربية يزول عند معرفة ما كانت تقوم به الامبراطورية من إعادة تنظيم مستمرة لقواتها بعد كل حرب . وانه كان قد مضى على آخر حرب بين « الدولتين العظميين » في ذلك العصر فترة غير قصيرة سمحت لهما — معاً — باعادة التنظيم ؛

والاستعداد لحروب جديدة ، وعلى هذا يمكن القول – يقيناً – إن القوات «البيزنطية» في مصر لم تكن ضعيفة لا في عددها ولا في عتادها . ولكن القوة المعنوية للمسلمين كانت أقــوى وأكبر .

ج – الأعمال القتالية :

(اذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً)[1] .

(بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط – سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ؛ فاني أدعوك بدعاية الاسلام ؛ فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ؛ فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

كانت تلك هي رسالة رسول الله ﷺ والتي أجابه عليها « المقوقس » بالرسالة التالية : (لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ؛ سلام . أما بعد ؛ فقد قرأت كتابك ؛ وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ؛ وقد علمت أن نبياً قد

---

(١) حديث شريف . صحيح مسلم ٢٥٤٣ . فضائل الصحابة – باب وصية النبي بأهل مصر .

بقي ؛ وكنت أظن أنه يخرج بالشام ؛ وقد أكرمت رسولك ، وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ؛ وبكسوة ، وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام) [1] .

ما إن أذن أمير المؤمنين «عمر» بالتوجه الى «مصر» حتى أسرع « عمرو بن العاص » من جوف الليل حتى لا يشعر به أحد من الناس ؛ وقاد قواته محاولاً الوصول إلى « مصر » قبل أن يعدل أمير المؤمنين عن « قراره الأولي » . ولكن أمير المؤمنين « تخوف على المسلمين » فكتب إلى « عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين . وأدرك الكتاب عمراً وهو « برفح » فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه خشية أن يكون فيه أمر يمنعه من « فتح مصر » وتابع سيره حتى نزل بقرية فيما بين «رفح» و «العريش» فسأل عنها فقيل انها من مصر ؛ فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين . وقال عمرو لمن معه : « ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ .. قالوا : بلى قال : فان أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ؛ ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا

---

(١) كانت الجاريتان هما « سيرين » التي زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « حسان بن ثابت » و « مارية » التي تزوجها الرسول فولدت له إبراهيم . أما المقصود بحديث الرسول عن أهل مصر — وضرورة مراعاة « الذمة والرحم » فهي قرابة الرحم بهاجر أم اسماعيل عليه السلام والتي كانت مصرية .

أرض مصر – فسيروا ، وامضوا على بركة الله .

كانت «العريش» أول قاعدة مصرية متقدمة اصطدم بها جيش المسلمين ؛ ولكن هذه القاعدة لم تصمد طويلاً ، فتم احتلالها ؛ وتابع « عمرو بن العاص تقدمه عبر الطريق الساحلي التقليدي[١] وكانت أخبار تقدم المسلمين تسبقهم إلى مصر ؛ فقد كانت عيون الروم «البيزنطيين» قد وصلت الى مصر وأعلمت المسؤولين فيها أن هذا الجيش هو الذي فتح مدن : طرابلس وصور وجبلة وأجنادين وسائر مدن «فلسطين» . وقد دفع ذلك «المقوقس» الى ارسال مفارز من قواته (الى جميع أطراف بلاده مما يلي الشام ، بأن لا يتركوا أحداً من الروم ولا غيرهم يدخل أرض «مصر» لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود «هرقل» فيدخل الرعب في قلوب قومه) .

اخترق « عمرو» بجيشه الصحراء حتى وصل « الفرما »[٢]

---

(١) هناك ثلاثة محاور رئيسية للتقدم عبر سيناء ولكن أفضلها هو الطريق الساحلي الموازي للبحر ؛ والذي كان يسلكه المهاجرون والفاتحون والتجار والحجاج منذ أقدم العصور ؛ وهو الطريق الذي سلكه يوسف عليه السلام عندما سار من الشام إلى مصر أيام الفراعنة ؛ وطريق «قمبيز» ملك الفرس حين سار لغزو مصر والاسكندر المقدوني ؛ عندما توغل في الشرق فاحتل «مصر» ووصل إلى الهند وهو الطريق الذي سلكه « اللنبي » في الحرب العالمية الأولى عندما توجه لحرب الأتراك العثمانيين .

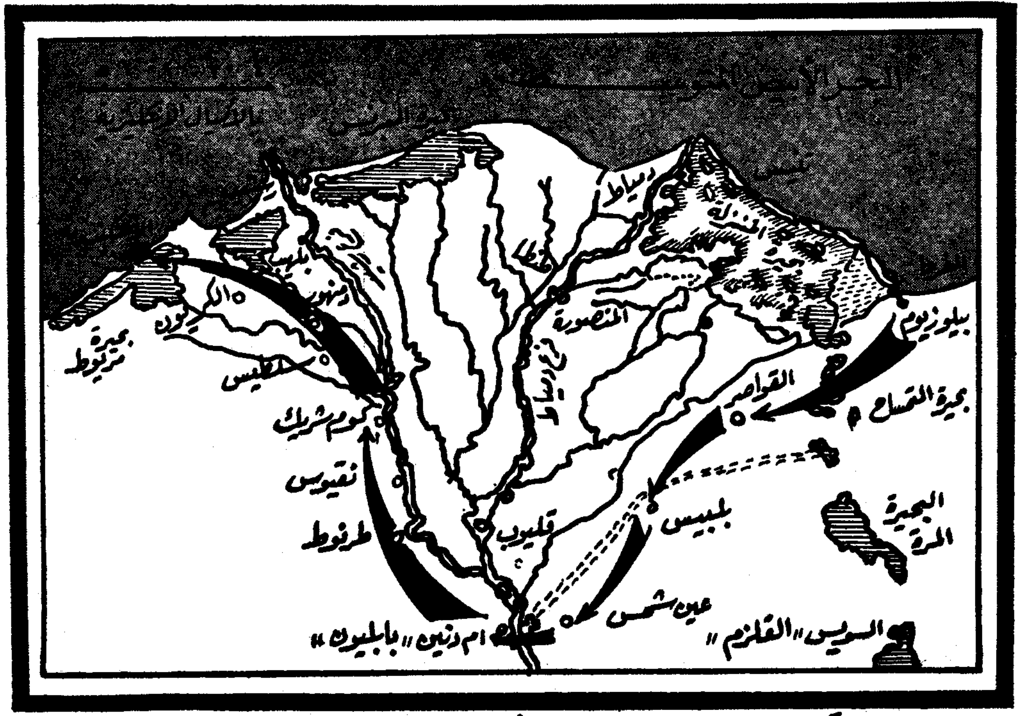
(٢) «الفرما» اسم عربي لمدينة «بلوز» وكان القبط يسمونها «برمون»=

في حدود مصر ؛ وهناك اصطدم بمقاومة قوية لم يتمكن من تجاوزها بسهولة ؛ فاستمرت الحرب حول « الفرما » شهراً ؛ وقاتل الروم قتالاً شديداً إلى أن تمّ انتزاع النصر ، **وكان « القبط » عوناً للمسلمين في حربهم ضد الروم .**

تابع « عمرو بن العاص » تقدمه عبر أرض مغطاة بقشور الصدف البيضاء (استحالت اليوم الى رمال) حتّى وصل مدينة « مجدل » [1] ومنها إلى « القواصر » ثم إلى « بلبيس » التي كان يدافع عنها «أرطبون» . وقد سلك « عمرو » هذا المحور حتى يتجنب الطريق التقليدي الذي كان يسلكه الفاتحون والـــذي

= وكانت على مرتفع من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر ؛ وكان بها مرفأ بحري يتصل بخليج على البحر ؛ كما كان هناك فرع من فروع نهر النيل يسمى «البلوزي» يهوي إلى البحر بقربها . وكانت «الفرما» مدينة حصينة وقوية تضم كثيراً من آثـــار المصريين القدماء ؛ كما كان بها كنائس وأديرة . وقد نظم الروم الدفاع عنها على اعتبار أنها مفتاح مصر من الشرق ، إذ أنها تشرف على الطريق الصحراوي ؛ وتملك ناصية البحر ؛ وقد عمل الفرس على تدمير حصونها وأسوارها وخربوا كنائسها أثناء اجتياحهم لمصر ولكن «الروم» عادوا فأصلحوا «الحصون والأسوار» حتى أصبحت « الفرما » منيعة على المغيرين .

(١) مجدل : MIGDOL ، وهي « القنطرة شرق حالياً » والواقعة على قناة السويس ، وكانت « مجدل » أول مركز يلي الصحراء بعد « الفرما » .



محور تحرك "عمرو بن العاص" عند فتح مصر عام ١٨هـ = ٦٣٨م

تعترضه المستنقعات (مما كان يحد من حركة « فرسان المسلمين » لو اتبعوه) .

عندما علم «المقوقس» بقدوم « عمرو بن العاص » إلى مصر ؛ توجه إلى « بابليون » وأخذ في تجهيز الجيوش ضد « عمرو بن العاص » وكان على « القصر » [1] قائد من الروم يقال له « الأعيرج » — وهو القائد « جورج الروماني » — وكان يعمل على تنفيذ أوامر المقوقس ، وقيادة الدفاع . — وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له — بنيامين ؛ لعل أصله يهودي (ما أن بلغه قدوم « عمرو بن العاص » حتى كتب إلى « القبط » يعلمهم أنه لن تكون هناك دولة للروم في مصر بعد هذا التاريخ وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمر « القبط » بتلقي « عمرو » وعدم مدافعته أو محاربته) .

كانت « أرمانوسة » ابنة المقوقس . في طريقها إلى

---

(١) هو قصر الشمع « مكانه الآن الدير المحرق بمصر القديمة » وقد بني هذا القصر بعد خراب مصر على يد «بخت نصر » واختلف المؤرخون حول تاريخ بناء هذا القصر ، ومن عمل على تشييده من الملوك ، وقد سمي قصر الشمع « لأن الشمع كان يوقد فيه — في رأس كل شهر — ليعلم الناس أن الشمس قد انتقلت من برج إلى برج » وكانت الكنيسة المعلقة بمصر القديمة تقع على باب هذا القصر ؛ ويرى بعض المؤرخين أن «قصر الشمع» هو حصن « بابليون » .

« قيصرية » لتزف الى قسطنطين « ابن هرقل » فلما علمت أن «قيصرية» قد أصبحت تحت حصار العرب المسلمين عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والهدايا والأموال . وما أن وصلت « بلبيس » حتى جاء العرب وحاصروها . وكان «أرطبون» قد دفع قوات استطلاعية للدفاع عن « بلبيس » . وحدثت معركة قصيرة وحاسمة سقط فيها من الروم ألف قتيل وأكثر من ثلاثة آلاف جريح وعادت « فلول » هذه القوة فالتجأت إلى أسوار «بلبيس» واحتمت بتحصيناتها . وعندما علم « المقوقس » بحصار ابنته في « بلبيس » مع علمه بما تعرضت له حاميتها من هزيمة منكرة ، أظهر ميلاً للاتصال بالمسلمين وعقد صلح معهم (وعقد مؤتمراً مع بطارقته ؛ وناقشهم في الموقف بعد أن أزال المسلمون قوات الروم عن الشام وقوات الفرس عن العراق . ونصح قومه بعقد الصلح ، ولكن كبار قادته قاوموه « ووثبوا عليه يريدون قتله » فأوقف من مماليكه ألف غلام فوق رأسه بالسيف ، وقال لوزيره اكتب إلى ابنتي كتاباً تأمرها فيه أن تتلطف بالقوم وتعطيهم الأمان وتنفذهم الينا) .

حاول «أرطبون» التعويض عن هزيمته «بفلسطين» فأظهر مقاومة ضارية ، وقاتل المسلمون قتالاً شديداً تزيد على الشهر ؛ وفي النهاية ؛ نظم هجوماً قوياً بعد أن ترك الأثقال مع « عامر ابن ربيعة العامري » وانتصر المسلمون ؛ ووقعت «أرمانوسة» أسيرة في قبضة « عمرو بن العاص » الذي وجهها الى والدها مع

ما تستحقه من الحماية والرعاية . وكان لهذا الموقف أثره في تدعيم ثقة «القبط» بالمسلمين ، ولكن ما أن أخذ جيش المسلمين في التحرك من «بلبيس» في اتجاه «تليوب» حتى أخذ أهل القرى والحقول في الفرار من وجه « جيش الفتح » فأرسل اليهم «عمرو» من يطمئنهم ، ويطلب اليهم « عدم الرحيل من بلادهم وأن الجيش الإسلامي لن يطلب أكثر مما يتم تقديمه لـــه من مواد التموين والعلف » . واستجاب السكان لذلك ، وتوقف عمرو في «تليوب» ثم غادرها في اتجاه «تندونياس» [1] حيث كانت في انتظاره المقاومة المنظمة والقوية . وتوقف «عمرو» أمام تلك المقاومة ؛ ودارت معارك ضارية ، وأبطأ عليه الفتح ؛ فكتب إلى أمير المؤمنين «عمر» يستمده ، فأمده عمر

---

(١) تندونياس ؛ هي التي أطلق عليها المسلمون بعد ذلك « أم دنين » ثم سميت «المقس» وهي إلى الشمال من حصن « بابليون » وكانت « ميناء مصر » زمن الفتح الإسلامي ويذكر بعض مؤرخي الغرب أنه لما تأخر فتح «بابليون» استخدم « عمرو بن العاص » السفن الموجودة في «مسلحة » أو قاعدة « أم دنين » ودفع بها بعضاً من قواته لفتح «الفيوم» وهي العدوة القصوى . ويعتمد الغربيون في ذلك على ما جاء في ديوان « حنا النقيوسي » . ولكن مؤرخي العرب يخالفون هذا الرأي ويذكرون أن فتح «الفيوم» كان بعد سقوط « حصن بابليون » وهذا أقرب إلى التصديق نظراً لموقف « عمرو ابن العاص » وضعف قوته العددية ، مما دفعه إلى طلب الدعم من الخليفـــة .

بأربعة آلاف رجل وكتب اليه :

« أما بعد ، فإني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام الألف وهم الزبير بن العوام ؛ والمقداد ابن عمرو ، وعبادة بن الصامت ؛ ومسلمة بن مخلد — وقال آخرون بل خارجة بن حذافة الرابع — لا يعدون مسلمة — وقال عمر بن الخطاب : ان معك اثني عشر ألفاً ؛ ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » . . وكان « عمرو » قد نظم مواقعه ؛ وحفر الخنادق ؛ وزاد من تفريق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم ، وعندما علم «عمرو» باقتراب « الدعم » توافرت لديه معلومات تقول إن « تيودور » قائد الروم قد صمم على مهاجمة المسلمين « قبل أن تنضم اليهم قوات الدعم » وتأكدت هذه المعلومات عندما خرج «تيودور» بقواته نحو «هليوبوليس— أو عين الشمس » وكانت على مسافة ستة أميال من معسكر المسلمين فما كان من « عمرو » إلا أن أرسل كتيبتين — تحت جنح الليل ؛ تمركزت إحداهما عند مواقع «تندونياس» ذاتها ؛ في حين تمركزت الثانية في موضع في ثنية الجبل « قرب القلعة الحالية » . وخرج «عمرو» بأكثر الجمع من العرب للقاء الروم بعد أن طلب من جند «الكمينين » عدم الظهور إلا عندما يسمح الموقف بالانقضاض على جناح جيش الروم ومؤخرته ، وخرج «الروم» من بين البساتين والأديرة التي كانت في الشمال الشرقي من الحصن . ولم يكن لهم علم « بمكيدة عمرو » . وحدث اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكريهما « ولعله مكان

العباسية الآن » ولما اشتدت المعركة ؛ أقبلت الكتيبة الأولى من جهة الجبل تجتاح مؤخرة الروم ؛ فاتجه هؤلاء وقــد ركبتهم الهزيمة في اتجاه «أم دنين» فلقيتهم قوة الكمين الآخر بها . ففر الروم يطلبون النجاة ؛ ولكن سيوف المسلمين حصرتهم ، فلم ينج منهم غير ثلاثمائة مقاتل ؛ نزلوا إلى السفن ؛ وعادوا إلى الحصن .

تدعمت قوة «عمرو» بوصول الامدادات ؛ فأرسل قوة قتالية « من خمسمائة فارس » بقيادة خارجة بن حذافة ، للالتفاف حول التحصينات ؛ ونظم «عمرو» هجوماً جبهياً قوياً ، وحملت الخيل التي كانت من وراء الروم ؛ واقتحمت عليهم فانهزموا وسقطت «تندونياس» في قبضة المسلمين .

انصرف «عمرو» لاعادة تنظيم قواته والاستعداد للمرحلة التالية وجعل من «تندونياس — أو — أم دنين » قاعدة له . وتوجه بعد ذلك إلى « حصن بابليون » ونظم الحصار حوله ، وتصادف ذلك مع بداية « فصل الفيضان » .

حاصر المسلمون «حصن بابليون» وكان بها جماعة من الروم وقادة القبط ورؤسائهم وعليهم «المقوقس» [1] واستمر القتال

---

(١) يطلق المؤرخون اسم « المقوقس » على حاكم مصر في ذلك العصر اطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس ، هو «قبرس» بطريــق الاسكندرية الملكاني الذي جمع له هرقل ، ولاية الدين وجباية الخراج عن أرض مصر .

شهراً ؛ عرف القبط خلاله « جد العرب وتصميمهم على فتحه ؛ وصبرهم على القتال ورغبتهم في النصر » فخاف «المقوقس» أن يظهروا عليهم ، فتنحى «المقوقس» وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي . ودونهم جماعة يقاتلون العرب بقيادة «الأعيرج» [1] حتى لحقوا «بالجزيرة» وهي « جزيرة الروضة التي أنشئت فيها دار صناعة السفن فيما بعد » [2] وأمروا بقطع الجسر . وأخذت « الروح المعنوية » للقبط بالتدهور ، وظهرت الانقسامات فيما بينهم ، فجمّع «المقوقس» من يثق بهم واستشارهم سراً في الأمر ، وأرسل إلى «عمرو بن العاص» رسالة جاء فيها :

(أنتم قـد ولجتم في بلادنا ؛ وألححتم في قتالنا ؛ وطال مقامكم في أرضنا ؛ وانما أنتم عصبة يسيرة ؛ وقد أظلتكم الروم ؛ وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح . وقد أحاط بكم هذا النيل ؛ وانما أنتم أسارى في أيدينا ، فابعثوا الينا رجلاً منكم نسمع من كلامكم . فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنكم وعنا هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر

---

(١) الأعيرج : هو جورج قائد حرس الحصن ويقال له « المندفور القبطي » وكان يدير مصر من قبل «المقوقس» ويأمره . وقد بقي في الحصن حتى يقضي على ما يقال من خروج « المقوقس» وحتى لا تضعف عزيمة القوم وتصميمهم .

(٢) فتوح مصر والمغرب /٩٦ .

عليه ؛ ولعلكم أن تندموا ان كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم ؛ فابعث الينا رجلاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى بــه نحن وهم من شيء) فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم يومين وليلتين ؛ حتى خاف عليهــم «المقوقس» فقال لأصحابه : « أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ؟ » .

لقد أراد « عمرو» بذلك أن يري رسل «المقوقس» حال المسلمين ، ثم ردَّ عليهم «عمرو» مع رسله : (... ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال : ١ — الإسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . ٢ — وان أبيتم فالجزية عن يد وأنتم صاغرون . ٣ — وأما أن نجاهدكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) . وعادت رسل «المقوقس» اليه ؛ فقال لهم كيف رأيتموهم ؛ قالوا : **(رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ؛ والتواضع أحب إليه من الرفعة ؛ ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ؛ انما جلوسهم على التراب ؛ وأكلهم على ركبهم ؛ أميرهم كواحد منهم** ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ؛ ولا السيد منهم من العبد ؛ واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ؛ يغسلون أطرافهم بالماء ؛ ويتخشعون في صلاتهم) فقال «المقوقس» عند ذلك : « والذي يحلف به ... لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ؛ وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ؛ ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم ؛ وهم محصورون بهذا النيل ؛ لم

يجيبونا بعد اليوم اذا مكنتهم الأرض ، وقووا على الخروج من موضعهم » وردّ «المقوقس» على « ابن العاص » طالباً ارسال « رسل من العرب المسلمين » للتفاوض معهم ؛ والاتفاق على ما عساه أن يكون خيراً للطرفين ؛ فبعث « عمرو بن العاص » عشرة نفر « أحدهم عبادة بن الصامت » وكان « عبـادة » ضخماً – فيه وحشية البداوة على ما يظهر وقسوتهم – فطلب «المقوقس» تنحيته ولكن الوفد رفض اجراء الحوار الا مع «عبادة» وانتهت المباحثات إلى اتفاق يتم بموجبه فرض الجزية بمعدل «دينارين» على كل رجل منهم ؛ وكتب «المقوقس» إلى ملك الروم «هرقل» يعلمه على وجه الأمر كله ؛ فكتب اليه ملك الروم : « ... انما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً ؛ وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ؛ فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا ؛ فان عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ؛ والعرب وحالهم وصفتهم على ما قد رأيت ؛ فعجزت عن قتالهم ؛ ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر – تنتصر – عليهم . وانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم على قدر قلتهـم وضعفهم « كأكلة » فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك » ...

وكتب ملك الروم الى جماعته في مصر كتاباً بمثل ذلك ؛

وأقبل « المقوقس » إلى « عمرو بن العاص » فقال له : « لقد كره الملك ما فعلت ؛ وعجزني ؛ وكتب إليّ والى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك ؛ وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ؛ ولم أكن لأخرج عما دخلت فيه وعاقدتك عليه ؛ وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ؛ وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسي ؛ والقبط متمون لك الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم ؛ وأما الروم فأنا منهم بريء . وأنا أطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال : (١ ـ ألا تنقض بالقبط وأدخلني معهم ؛ وألزمني ما يلزمهم ؛ وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متمون لك على ما تحب . ٢ ـ ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم ، فلا تفعل حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً فانهم أهل ذلك لأني نصحتهم فاستغشوني ؛ ونظرت لهم ـ وأخلصت ـ فاتهموني . ٣ ـ أطلب اليك ان أنا مُتُّ أن تأمرهم فيدفنوني في « أبي كنيس » بالاسكندرية)[1] .

جاء هذا الاتفاق دعماً للمسلمين الذين مضى على حصارهم « لحصن بابليون » سبعة أشهر ونيف لم يتوقف خلالها القتال . فنظم «عمرو» هجوماً قوياً . ووضع المنجنيق وأخذ في قصف

---

(١) فتوح مصر والمغرب ـ ابن الحكم ١٠٤ ـ ١٠٥ .

التحصينات والأسوار [1] وقام « الزبير بن العوام » باستطلاع الأسوار ؛ ونادى بالمسلمين : « إني أهب نفسي لله ؛ أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » ووضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية « سوق الحمام » ثم صعد ؛ وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً ؛ فما شعروا إلا و «الزبير» على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم «عمرو» خوفاً من أن ينكسر ؛ فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه ؛ وكبر ، وكبر من معه ؛ وأجابهم المسلمون من خارج ؛ لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً ، فهربوا ، وأسرع «الزبير» وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن . ومضى «الأعيرج» ومن معه من قادة القبط إلى سفن كانوا قد تركوها ملصقة بجدار الحصن . واستقلوها حتى وصلوا إلى « جزيرة الروضة » .

توقف «عمرو» في حصن بابليون . وأخذ في تنظيم أمور « المجتمع الجديد » ووجه « عبد الله بن حذافة السهمي » إلى « عين شمس » فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط .

---

(١) وفيه قال « عمرو بن العاص » :

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق في بَلِيّ تختلف

و «عمرو» يرقل أرقال الشيخ الخرف .

والارقال : الاسراع في السير .

ووجه « خارجة بن حذافة العدوي » إلى « الفيوم » ، و « الأشمونين » و «أخميم» و «البشرودات» و «قرى الصعيد» فصالحها أيضاً على مثل صلح «الفسطاط» . كما وجه « عمير بن وهب الجمحي» إلى «تنيس» و «دمياط» و «تونة» و «دميرة» و «شطا» و «دقهلة» و «نبا» و « بوصير » فصالحها على مثل صلح الفسطاط أيضاً . ووجه عقبة بن عامر الجهني – ويقال وردان مولاه – إلى سائر قرى أسفل الأرض « الوجه البحري » ففعل مثل ذلك . وبذلك استجمع «عمرو» فتح مصر ، فصارت أرضها أرض خراج .

كان « عمرو بن العاص » قد أرسل إلى أمير المؤمنين «عمر» يعلمه عن «فتح بابليون» ويستأذنه في فتح « الاسكندرية » وجاءت الموافقة على متابعة «الفتح» فاستخلف على « مصر» « خارجة بن حذافة العدوي » وغادر بجيشه « بابليون » ومعه « جماعة من رؤساء القبط الذين عملوا على اصلاح الطرق واقامة الجسور وتنظيم الأسواق ، وتقديم كل معونة ممكنة لجيش المسلمين . واختار «عمرو بن العاص» التحرك على الضفة الغربية « للنيل » من ناحية الصحراء ، حيث يتوافر المجال لتحرك القوات وعمل الفرسان دون عائق من تلك العوائق . وبذلك استطاع «عمرو» تجنب « أرض الدلتا » مع ما بها من قنوات وترع كثيرة .

عندما وصلت قوات المسلمين إلى «ترنوط» [1] اصطدمت بقوة للروم وحدثت اشتباكات عنيفة استمرت ثلاثة أيام ؛ استطاع المسلمون بعدها انتزاع النصر ، وتمزقت قوات الروم ، فشكل «عمرو» مجموعة من الفرسان بقيادة « شريك بن سمي » .

استطاع «شريك» مطاردة فلول القوات حتى وصل مسافة (١٦ ميلاً) إلى الشمال من «ترنوط» وهناك اصطدم بمقاومة قوية ؛ يحتمل لها أن تكون قوات دعم كانت متوجهة من الاسكندرية نحو الجنوب ولم يتمكن « شريك » من القضاء على هذه القوات ؛ ولكنه استطاع «ايقافها» وبعث إلى «عمرو» رسولاً يخبره ، ويطلب دعمه ؛ واستمرت الحرب حتى ظهرت طلائع قوات المسلمين ؛ فتمزقت قوات الروم وأخذت في الفرار [2] ودارت معركة طاحنة بعد ذلك في

---

(١) ترنوط أو « طرنوط » أو « الطرانة » كما يسميها العرب ؛ مدينة قديمة كان عندها معبر يعبر النيل عليه في الذهاب إلى الاسكندرية ؛ ومنها يبدأ الطريق المؤدي إلى « أديرة القبط » في الصحراء الليبية . وترنوط الحالية قرية على النيل بمركز النخيلة المسمى الآن « مركز كوم حماده » من أعمال «محافظة البحيرة» وكان بها معاصر للسكر وبساتين كثيرة تتزود منها الاسكندرية بالخضار والفاكهة.

(٢) وقد أقيمت في موقع هذه المعركة قرية حملت اسم القائد المسلم وتعرف باسم « كوم شريك » وهي من قرى « كوم حماده ».

«سلطيس» [1] تمزقت فيها قوات الروم .

ثم تابع المسلمون تقدمهم حتى وصلوا «الكريون» [2] وكان القائد الروماني «تيودور» قد حصن المدينة ونظم حاميته القوية للدفاع عنها . وكانَ عبد الله بن عمرو « على المقدمة » وكان حامل علم المقدمة «وردان» مولى «عمرو» وخاض المسلمون معركة قاسية ، قاد فيها «تيودور» المعركة بكفاءة ؛ وأصيب عبد الله بجراح كثيرة فقال «لوردان» لو تقهقرت قليلاً نصيب الروح ؟ فقال وردان : الروح تريد ؟ .. الروح

---

(١) سلطيس ؛ كذا في الأصل وصواب الاسم « سنطيس » قرية كبيرة في منتصف المسافة تقريباً بين « كوم شريك » و « كريون» وعلى بعد ستة أميال جنوب «دمنهور» .

(٢) الكريون : مدينة قديمة ؛ زارها ابن حوقل وذكر عنها في كتابه أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جميلة على ضفتي ترعة الاسكندرية وكان التجار يركبون فيها القوارب إلى «الفسطاط» التي كانت «أم دنين» وذلك في وقت الصيف إذا ما علا النيل . وكانت مدينة الكريون آخر حصن «ليم» من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن «بابليون» و «الاسكندرية» وكان لها شأن عظيم في تجارة القمح ، كما كان لها خطر كبير في الحرب إذ كانت تشرف على الترعة التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشرابها ؛ ولكن حصونها لم تكن في المنعة على مثل ما كان عليه حصن بابليون أو حصن «نقيوس» .

أمامك ؛ وليس هو خلفك [1] فتقدم « عبد الله » واستأسد الناس ، وأمكن تحقيق النصر . وهرب فلول الروم فانضموا إلى حامية الاسكندرية .

كان الروم يعلقون أملاً كبيراً على القواعد البحرية ؛ ولهذا فقد بذلوا كل جهودهم للاحتفاظ بها ، وعندما علم «هرقل» ملك الروم بحصار «بابليون» توقع أن تكون المرحلة التالية هي استيلاء المسلمين على «الاسكندرية» . فجمع قادته وقال لهم : (لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ؛ فان في ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ؛ وانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية) ولما كان عيد الروم بالاسكندرية أمر بالاستعداد للخروج اليها ؛ وحتى يباشر قتالها بنفسه اعظاماً لها ؛ وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم . ولكن ما أن أتم استعداده

---

(١) علم «عمرو» باصابة ابنه عبد الله بجراح كثيرة ؛ فأرسل من يسأله عن حاله ؛ فكان رد عبد الله :

أقول إذا ما جاشت النفس اصبري
فعمـــا قليل تحمدي أو تلامـــي

ويروى البيت :

أقول لها اذا جشأت وجاشت
رويدك تحمـــدي أو تستريحـــي

وخرج الرسول إلى « عمرو » وأخبره بما قال « عبد الله » ـــ فقال « عمرو » : هو ابني حقاً » .

وبدأ الرحلة حتى توفي [1] فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه إلى الاسكندرية . ولكن رغم ذلك فقد بقيت هناك حامية قوية « لا تقل عن خمسين ألف جندي » وهناك بعض المصادر تحدد حجم الحامية بأكثر من مائة ألف جندي مع من انضم اليها من حاميات الأقاليم المصرية التي فتحها المسلمون ؛ في حين لم يكن عدد مقاتلي جيش المسلمين يزيد على ١٢ ألف مقاتل .

وكانت حصون الاسكندرية قوية – منذ أيام البطالسة – حتى تقوى على رد غارات الأعداء وصد هجمات الفاتحين : وكانت هذه الحصون مزدوجة . ومجهزة بأدوات الحصار وفيها « مخزون كبير يساعدها على الصمود لفترة طويلة ؛ كما كانت الامدادات متوفرة لها عن طريق البحر .

وصلت قوات المسلمين ، واحتلت مواقعها لتحاصر مدينة « الاسكندرية » ما بين حلوة إلى قصر «فارس» والى ما وراء ذلك ؛ وكان مع هذه القوات رؤساء القبط يمدونهم بما يحتاجون اليه من الأطعمة والعلوفة ، ونزل «عمرو» بحلوة ؛ وأقام فيها لمدة شهرين والقتال مستمر بين العرب والروم . فأقلق هذا الخليفة عمر ، فبعث إلى عمرو كتاباً يلومه فيه هو والمسلمين ، فقرأ «عمرو» الكتاب على المسلمين . ثم ان «عمرو» خشي أن

---

(١) كان موت هرقل يوم الأحد ١١ شباط «فبراير» ٦٤١ م أي قبل سقوط بابليون مما يدل على أن الروم كانوا يستعدون لحرب طويلة من أجل الاحتفاظ بمصر .

تضطرب الأمور في « أم دنين » وفي الجنوب بسبب انصراف قوات المسلمين الى حرب الاسكندرية وحصارها ، فقرر العودة الى « أم دنين » والاقامة فيها ، وعقد لواء حرب الاسكندرية الى « عبادة بن الصامت » ومضت فترة شهرين آخرين قبل أن يتمكن جند المسلمين من اقتحام الاسكندريـــة وفتحها عنوة . ولكن « عمرو بن العاص » جعل أهلها ذمة ، على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم ـ شأن العرب مع أهالي معظم البلاد التي فتحوها . وانما عامل عمرو المصريين معاملة من فتحت بلادهم صلحاً يستجلب محبتهم ؛ ويستألفهم ، وكانت أهم شروط الصلح « الذي تولى عقده المقوقس » مع العرب النقاط التالية :

١ ـ أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين في السنة .

٢ ـ مدة الهدنة ١١ شهراً .

٣ ـ يحتفظ العرب بمواقعهم مدة الهدنة ، ولا يباشروا قتالاً ضد الاسكندرية ، على أن يلتزم جند الروم مقابل ذلك بايقاف كل عمل عدواني .

٤ ـ ألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء ، وألا يتدخلوا في أمور المسيحيين .

٥ ـ أن ترحل الحامية التي بها مع ما يملكون من أموال وأمتعة وأن يدفعوا الجزية عن شهر عند رحلتهم .

٦ ـ يبقى اليهود بالاسكندرية .

٧ ـ توقف الروم عن كل محاولة لارسال جيش بهدف استرداد مصر .

٨ ـ أن يكون عند المسلمين ١٥٠ جندياً من الروم و ٥٠ مدنياً ـ من الرؤساء ، رهينة لضمان تنفيذ هذه المعاهدة .

وكتب « عمرو » بعد فتح الاسكندرية رسالة إلى الخليفة « عمر » يعلمه بالفتح ويشرح له أحوال المدينة ، وكان في رسالته (... أما بعد فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها ؛ غير أني أصبت فيها أربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك) [١] ويقال (انه رحل عن الاسكندرية في الليلة التي دخلها « عمرو » أو في الليلة التي خافوا فيهـــا دخول « عمرو » سبعين ألف يهودي ؛ وكانت عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال ، وكان بها مائة مركب حملت ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل ؛ وبقي من بقي من الأسارى ممن بلغ الخراج ؛ فأحصي يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

ما كاد « عمرو بن العاص » ينتهي من تنظيم أمـــــور «الاسكندرية» حتى توجه بجيشه نحو الغرب « على الطريق الساحلي » حتى قدم «برقة» فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف

---

(١) فتوح مصر والمغرب ـ ابن الحكم ـ ١١٧ و ١٢١ .

دينار يؤدونها اليه جزية ، ووجه «عمرو» قوة قتالية بقيادة « عقبة بن نافع » حتى بلغ «زويلة» وصار ما بين « برقة وزويلة للمسلمين »[1] .

ثم سار « عمرو بن العاص » حتى نزل « أطرابلس » وحاصرها شهراً ولم يقدر عليها . وخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر «عمرو» متصيداً في سبعة نفر ، فمضوا غربي المدينة حتى ابتعدوا عن العسكر ، ثم رجعوا فأصابهم الحر ؛ فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ؛ وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتها . فنظر « المدلجي » وأصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة « كان البحر في حالة الجذر وليس في حالة « المد » فدخلوا فيه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا . فلم يكن للروم مفزع – ومهرب – الا سفنهم وأبصر « عمرو » وأصحابه الله اكبر في جوف المدينة . فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ؛ فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم ؛ وغنم «عمرو» ما كان في المدينة . وكان من بمدينة «سبرت»[2] – وكان اسمها «نبارة» – متحصنين . فلما بلغهم

---

(١) فتوح مصر – ابن الحكم – ٢٣٠ والبلاذري ٣١٤ والطبري ١٤٤/٤ .

(٢) سبرت . واسمها « نبارة» أو «السوق القديم» ويقال انه ربما كان عبد الرحمن بن حبيب هو الذي أطلق عليها اسم « نبارة » في سنة ٣١ هـ .

محاصرة «عمرو» مدينة «أطرابلس» وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم « أمنوا » فلما ظفر « عمرو بن العاص » بمدينة «أطرابلس» جرد خيلاً كثيفة من ليلته ؛ وأمرهم السير بسرعة ؛ فصبحت خيله مدينة «سبرت» وقد غفل أهلها ؛ وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم ؛ فدخلوها فلم ينج منهم أحد ؛ واحتوى جند عمرو على ما فيها ؛ ورجعوا إلى «عمرو» وكتب هذا إلى أمير المؤمنين رسالته :

(... ان الله قد فتح علينا « أطرابلس» وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام ؛ فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ؛ ويفتحها الله على يديه فعل) فكتب اليه عمر :

(لا .... انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غـادرة مغدور بها ؛ لا يغزوها أحد ما بقيت) [1] .

رجع «عمرو» بجيشه إلى قاعدته في «الفسطاط» وانصرف إلى تنظيم أمور «مصر» وأراد تأمين مصر من الجنوب ، فأرسل « مجموعة قتالية » بقيادة « عقبة بن نافع الفهري » فدخلت خيولهم أرض النوبة . فلقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً ؛ إذ كان أهلها ماهرين برمي السهام ؛ فرشقوا المسلمين بالنبل حتّى

---

(١) أصدر أمير المؤمنين عمر أوامر مماثله لايقاف توغل المسلمين على حدود « الروم » وعلى حدود «فارس» خوفاً على المسلمين مـن التوسع بما يزيد على طاقتهم .

جرح عامتهم ؛ فانصرفوا بجراح كثيرة وحدق «عيون» مفقودة . فلم يصالحهم «عمرو» ولم يزل يهاجمهم حتى عزل عن مصر ، وولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح ؛ فصالحهم ؛ فكانت بينهم وبين المسلمين هدنة : يعطيهم المسلمون شيئاً من القمح والعدس ؛ ويعطيهم النوبيون رقيقاً .

استقر المسلمون في مصر ؛ ولكن كان من الصعب على الروم الاعتراف بهزيمتهم ؛ أو التسليم بما أحرزه المسلمون من نصر ؛ وأفادوا من تفوقهم البحري للابقاء على الاتصال «ببقايا أنصارهم» في المدن الساحلية في الشام ومصر . وفيما كان المسلمون منصرفون لاقامة المجتمع الجديد ، كانت الاتصالات مستمرة في الخفاء . وقام بعض أولئك الذين حرمهم المسلمون من امتيازاتهم بالكتابة إلى « قسطنطين » « ابن هرقل » الذي أصبح امبراطوراً للروم بعد وفاة أبيه .

يهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة ما بها من حامية المسلمين ؛ وبما يعاني فيها الروم من المذلة وأداء الجزية ؛ فبعث «قسطنطين» قوة في «ثلاثمائة مركب» بقيادة «منويل الخصي» ونزلت هذه القوة بالاسكندرية في عام ٢٥ هـ « نهاية سنة ٦٤٥ م » وانضم فلول الروم إلى هذه القوة .

وعمل «المقوقس» على مقاومة هذا الهجوم وانضم اليه القبط . وعمل «منويل» على قتل المسلمين الموجودين بالاسكندرية « كحامية صغيرة للدفاع عنها » .

كان « عمرو بن العاص « في الفسطاط » عندما قامت قوة الروم بالانزال ؛ وأراد بعض القادة « في مقدمتهم خارجة بن حذافة » الاسراع للقاء قوات الروم قبل أن يتمكنوا من مغادرة الاسكندرية خشية أن « تنتقض » مصر على المسلمين ؛ وتنضم إلى «الروم» ولكن «عمرو» قال لقادته ؛ لا — لن أهاجمهم — ولكن أدعهم حتّى يسيروا إليّ ؛ فانهم يصيبون من مروا به ؛ فيخزي الله بعضهم ببعض .

خرجت قوات «الروم» من الاسكندرية ؛ ومعها من نقض من أهل القرى ؛ فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورهـا ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به ، فلم يعرض لهم «عمرو» حتّى بلغوا مدينة «نقيوس» [1] حيث اصطدم بهم المسلمون وهم في البر والبحر ؛ وبدأ الروم والقبط برمي المسلمين « بالنشاب » بكثافة عالية مستفيدين من تفوقهم العددي « حيث كانت قوة الروم تزيد على ١٥ ألف مقاتل » وأصابت نشاب فرس «عمرو» في لبتها ، فترجل عنها «عمرو» . ثم خرج الروم من البحر ؛ فاجتمعوا هم والذين في البر ؛ واستمروا في نضح المسلمين

---

(١) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ؛ وقد زالت وحل محلها اليوم الكوم الأثري الموجود بالجهة البحرية من سكن « زاوية رزين » بمركز «منوف» المعروف عند الأهالي هناك باسم « كوم مانوس » أو « رقيانوس » وهما محرفان من «نقيوس» التي اختفى اسمها منذ عهد بعيد . (الخطط التوفيقية — علي مبارك ١٥/٨) .

بالنشاب ، فتراجع المسلمون قليلاً ، وحمل الروم على المسلمين ؛ وأرغموا قوة الفرسان « التي يقودها شُريك » على التراجع . ونظم الروم هجومهم على شكل أنساق متتالية . مما كان يضمن لهم قوة دفع على متابعة الهجوم ، لكن المسلمين صمدوا ، ثم قام « عمرو » بتنظيم هجوم قوي وأمكن له التغلب على الروم ؛ وأخذ في مطاردتهم حتى اضطرهم إلى اللجوء إلى أسوار الاسكندرية ؛ وتوقف المسلمون ريثما يعيدوا تنظيم قواتهم ؛ واستخدم «عمرو» المنجنيق لتدمير الأسوار [1] ثم اقتحم المسلمون المدينة ، وقتل « منويل الخصي » وأمعن عمرو بن العاص في قتال الروم داخل الاسكندرية ؛ وتوسط بعض « القبط » فرفع « عمرو » عنهم [2] .

جمع « عمرو » ما أصاب منهم ؛ وجاءه أهل القرى ممن لم ينقضوا العهد ؛ فقالوا : قد كنا على صلحنا ؛ وقد مَرّ علينا هؤلاء اللصوص ؛ فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في

(١) أعاقت هذه الأسوار تقدم المسلمين ، وأضرت بهم ؛ فأقسم عمرو « لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها – حتى تكون مثل بيت الزانية – تؤتى من كل مكان » وعندما اقتحم المسلمون الاسكندرية عمل على الوفاء بقسمه فدمر أسوار المدينة جميعها .

(٢) عمل «عمرو» على بناء مسجد في الموضع الذي توقف فيه القتال ، وهو المسجد الذي يقال له في الاسكندرية « مسجد الرحمة » كناية عن استجابة « عمرو » لعامل « الرحمة » وقدرته على ابادة الروم لو أراد ذلك .

يديك . فرد عليهم «عمرو» ما كان لهم من المتاع مما عرفوه وأقاموا عليه البينة . وقال بعضهم لعمرو :

« ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك ولم ننقض ، فأما من نقض فأبعده الله » فندم عمرو ؛ وقال : « ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية .

وكانت هناك قرية اسمها « خربة وردان » لا يقطنها إلا «الرهبان» . وقد عمل هؤلاء على الغدر بالمسلمين والانقضاض على مؤخرتهم « ساقتهم » -- مستفيدين من موقع قريتهم القريبة من «الكريون» .

ولما بلغ « عمرو » ما فعله أهل « خربة وردان » وجه اليهم قوة قتالية عملت على قتل « الغادرين » وتخريب القرية ؛ التي بقيت خراباً حتى اليوم .

انصرف «عمرو» بعد « فتح الاسكندرية الثاني » لاعادة تنظيم الدفاع ، وقطع من أصحابه لرباط « حامية » الاسكندرية ، وربع قواته : الربع يقيمون ستة أشهر ؛ ثم يعقبهم شاتية لمدة ستة أشهر ، والنصف الثاني يقيمون معه . وكان أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » يبعث في كل سنة «غازية» من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية ؛ وكاتب الولاة بألا تغفلها ، وأن يعملوا على « تكثيف رابطتها » لحمايتها من « غدر الروم » [1] .

---

(١) ابن الحكم ٢٥٨ .

انصرف «عمرو» بعد ذلك « لاقامة دعائم المجتمع الجديد » ونشر الإسلام ؛ وكان موضع ثقة أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» الذي كان يحمل له التقدير ؛ لكفاءته القيادية ، حتى أنه قال فيه ؛ بعد أن وصله ما كان من مواقفه في القتال ؛ ونجاحه في دعم علاقاته مع القبط والتعاون معهم ضد « الروم » ما حفظه التاريخ : (والله ان حربه للينة ؛ ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ؛ إن عمراً لعض)[1] ثم عينه أميراً على مصر . فأقام عمرو بها .

وكان عمر يعتمد على رأي واليه في مصر « عمرو بن العاص » ويستشيره . ومن المعروف أن « معاوية بن سفيان » كان يرغب في « ركوب البحر » لردع الروم وانتزاع «قدرتهم البحرية» وضمان أمن المدن الساحلية للأقاليم التي فتحها المسلمون؛ وقد طلب مرات إلى أمير المؤمنين يستأذنه في ذلك ؛ فكتب أمير المؤمنين عمر إلى واليه في مصر « عمرو بن العاص » وقال له : (صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه) . وأجاب « ابن العاص » : (اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ؛ إن ركن خرق القلوب ؛ وإن تحرك أزاغ العقول ؛ يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة ؛ هم فيه كدود على عود ؛ إن مال غرق وإن نجا برق)[2] فقال عمر عندما وصلته الرسالة : (لا والله ! لا يركبه أحد ما حييت) .

---

(١) الرجل العض : القوي الشديد الداهية ؛ الطبري ١١٠/٤ .

(٢) الطبري ٢٥٨/٤ وبرق معناها ذهل ودهش .

٤ ـ ما بين الولايتين

أقام «عمرو» في مصر ، ينظم شؤونها ؛ ويحفظ ثغورها ؛ وعندما توفي أمير المؤمنين «عمر» (في عام ٢٣ هـ) مضى وهو راض عن واليه في مصر . ولم يحاول أمير المؤمنين « عثمان » تبديل الولاة حتى وقع خصام بين والي مصر « عمرو بن العاص » وبين قائد جند مصر والمسؤول عن خراجها « عبد الله ابن سعد » ، فانحاز «عثمان» إلى عبد الله بن سعد ـ أخيه في الرضاعة ـ وعزل « عمرو بن العاص » وأقام من « عبد الله بن سعد » والياً على مصر . وقدم «عمرو» مغضباً فدخل على «عثمان» وعليه جبة يمانية محشوة قطناً ، فقال له عثمان : ما حشو جبتك ؟ قال : عمرو ، قال عثمان : قد علمتُ أن حشوها عمرو ، ولم أرد هذا ، انما سألت : أقطن هو أم غيره ؟ وحدث عتاب ، خرج منه «عمرو» وهو «مغضب» وتوجه إلى «فلسطين» ليقيم بها . حتى إذا كانت سنة (٣٤ هـ)

بدأت بواكير الفتنة ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في الانتشار ، وأخذت قوات التآمر في نقل مركز ثقلها إلى عاصمة المسلمين « المدينة المنورة » بعد أن وجدت لها قواعد في « العراق ومصر » .

ومضى « عمرو بن العاص » إلى المدينة ؛ حتّى يتابع الأحداث عن قرب ، وأرسل أمير المؤمنين إلى قادته وأصحاب الرأي من المسلمين فجمعهم يستشيرهم . ووقف « عمرو بن العاص » فقال : يا عثمان ؛ أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون – بمثل بني أمية ، فقلت وقالوا : وزِغْتَ وزاغوا ؛ فاعتزم أن تعتدل ؛ فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ؛ فإن أبيت فاعتزم عَزْماً وامضِ قدماً . فقال له عثمان : ما لَكَ قَمِلَ فَرْوك ! ؟ أهذا الجد منك ؟ ... فأسكت عنه دهراً ، حتّى إذا تفرق القوم قال «عمرو» : (لا والله يا أمير المؤمنين ؛ لأنت أعَزُّ عليّ من ذلك ؛ ولكن قد علمت أن سيبلغ قول كل رجل منا – وعلمت أن بالباب قوماً قد علموا أنك جمعتنا لنشير عليك ، فأردت أن يبلغهم قولي . فيثقوا بي ، فأقود اليك خيراً ، أو أن أدفع عنك شراً [1] وأقبل عام (٣٥ هـ) وتعاظمت «الفتنة» وعرف «أمير المؤمنين عثمان» أن «عمراً» مستمر في التحريض ضده ، فأرسل اليه ؛ وعندما أقبل «عمرو» عاتبه أمير المؤمنين ، وخرج «عمرو» من عند «عثمان» وهو ،

---

(١) الطبري ٣٣٤/٤ – ٣٣٥ .

محتقد عليه ؛ يأتي علياً مرة فيؤلبه على «عثمان» ويأتي «الزبير» مرة فيؤلبه على «عثمان» ويأتي «طلحة» مرة فيؤلبه على «عثمان» ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلما كان حصر « عثمان » الأول خرج من المدينة ، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين ، يقال لها السبع ، فنزل في قصر يقال له «العجلان» وهو يقول « ألعجب ما يأتينا عن ابن عفان !

ووصلت الفتنة ذروتها بمقتل أمير المؤمنين «عثمان» ومبايعة علي « أميراً للمؤمنين » ووصل ذلك عمرو فقال : (أنا أبو عبد الله ؛ إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه ؛ حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل) [1] وكان أمير المؤمنين «عثمان» قد ألقى قبل مصرعه خطاباً في المسلمين ذكر فيه (انه جاء نسوة النبي ﷺ ؛ وكلمهن فقال ما تأمرنني ؟ فقلن له : تُؤمر عمرو بن العاص ؛ فان جنده راضون به ، أمره فليصلح أرضه) .

ولعل مـــا تجدر الاشارة اليه هو خشية عمرو من البقاء في « المدينة » بعد أن شعر أن الفتنة قد تجاوزت حدودها ، ذلك أنه لما أحيط بعثمان ــ رضي الله عنه ــ خرج عمرو بن العاص متوجهاً نحو الشام وقال : (والله يا أهل المدينة ؟ ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل ؛ من لم

---

(١) المرجع ذاته ٣٥٦/٤ ــ ٣٥٧ و ٥٥٨ ــ ٥٦٠ .

يستطع نصرَه فليهرب) فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد [1] كما تجدر الاشارة إلى ذلك الحديث الذي دار بين «عمرو» وبين ذلك الذي أخبره بمقتل عثمان ، فقد قال له ذلك الرجل : « يا معشر قريش ؛ إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب ؛ فاتخذوا باباً اذا كُسر الباب » وأجابه عمرو : وذاك الذي نريد ؛ ولا يصلح البابَ إلا أشاف ـ أو مثقب ـ تخرج الحق من حافرة البأس ؛ ويكون الناس في العدل سواء .

أقام «عمرو» يترّقب وينتظر تطور الأحداث ؛ وبلغه أن علياً قد بويع له ، فاشتد عليه ، وتربص أياماً ينظر ما يصنع الناس ، ثم بلغه مسيرَ «طلحة» و «الزبير» و «عائشة» وقال : أستأني وأنظر ما يصنعون ، فأتاه الخبر أن طلحة والزبير قد قتلا فأرتج عليه أمره . فقال قائل : (إن «معاوية» بالشام لا يريد أن يبايع لعلي ، فلو قاربت معاوية ! فكان معاوية أحب اليه من «علي» وقيل له : إنَّ معاوية يعظم بشأن قتل عثمان بن عفان ويحرّض على الطلب بدمه ؛ فقال عمرو : ادعوا لي محمد وعبد الله فَدُعيا له ، فقال : قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمانَ رضي الله عنه ؛ وبيعة الناس لعليّ ، وما يُرصِدُ معاوية من مخالفة عليّ ، وقال مـــا تريان ؟ أما علي فلا خير عنده ؛ وهو رجل يدل بسابقته ؛ وهو غير مشركي في شيء من أمره . فقال عبد الله بن عمرو : توفي النبي ﷺ وهو عنك

(1) الطبري ٤/٤١٠ و ٥٥٨ .

راضٍ ، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راضٍ ، وتوفي عمرُ وهو عنك راضٍ ؛ أرى أن تكف يدك ، وتجلس في بيتك ، حتّى يجتمع الناس على إمام فتبايعه . وقال محمد بن عمرو ؛ أنت نابٌ من أنياب العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر . قال عمرو : (أما أنت يا عبدَ الله فأمرتني بالذي هو خير لي في آخرتي ، وأسلم في ديني ؛ وأما أنت يا محمد ؛ فأمرتني بالذي أنبه لي في دنياي ، وشرٌ لي في آخرتي) [1] ونادى « عمرو » مولاه «وردان» وقال له « ارحل يا وردان » فلما أصبح قال « حط يا وردان » حتّى حط ورحل ثلاث مرات ، فقال له وردان :

« لقد خلطت أبا عبد الله ، فان شئت أخبرتك بما في نفسك » قال : «هات» قال : (اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك . فقلت عليّ معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدري أيهما تختار !!) [2] .

قرر « عمرو » الخروج من حيرته وتردده ، وجمع أمره ، وتوجه ومعه ابناه حتّى قدم على «معاوية» فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم «عثمان» فقال «عمرو بن العاص» أنتم على الحق ، أطلبوا بدم الخليفة المظلوم ــ ومعاوية لا يلتفت

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٥٩ ــ ٥٦٠ .

(٢) اليعقوبي ٢/١٦١ ــ ١٦٢ .

إلى قول عمرو – فقال ابنا عمرو لأبيهم : ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك ! انصرف إلى غيره . فدخل « عمرو » على « معاوية » فقال : (والله لعجب لك ! إني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني ! أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها ، حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ؛ ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا ؛ وأنشده :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة
أخذت بها شيخاً يضر وينفع [1]

فصالحه معاوية ؛ وتم الاتفاق بينهما على « العمل المشترك » [2] .

وأرسل أمير المؤمنين «علي» يطلب من «معاوية» البيعة بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار ؛ وبعد أن انتهت معركة الجمل ؛ وقام « جرير بن عبد الله البجلي » بحمل رسالة أمير المؤمنين إلى «معاوية» فلما قدم «جرير» على «معاوية» ماطله واستنظره ، ودعا «عمرو بن العاص» فاستشاره ، فأشار عليه (أن يرسل إلى

---

(١) العقد الفريد ٣/١١٤ .
(٢) أنظر نص الاتفاق في نهاية هذا الكتيب – قراءات ٢ – .

وجوه الشام ؛ ويلزم علياً دم عثمان ؛ ويقاتله بهم) ففعل ذلك معاوية . ونظم قواته وعقد لواءه « لعمرو » فعقد «عمرو» لوردان غلامه « فيمن عقد » ولابنيه عبد الله ومحمد [1] . ومضى جيش «معاوية» إلى الفرات ، حيث حدثت المعركة بين جيشي المسلمين . وكان « عمرو بن العاص » هو الذي يباشر بنفسه ادارة الحرب ، وينظم القوات للقتال . ويقف الى جانب معاوية لتوجيه الصراع السياسي الذي رافق الصراع المسلح بين قوتي « علي رضي الله عنه ومعاوية » .

استمر الصراع في «صفين» أشهراً دون الوصول إلى نتيجة

---

(١) علم «عمرو» بعد ذلك أن « عليّ » عقد لواء لغلامه « قنبر » فقال عمـــرو :

هَلْ يُغْنِينِ وردان عني قنبرا
وتغني السكون عـــني حمـــيراً
إذا الكماة لبسوا السنـــورا

والسكون قبيلة كانت من أنصار معاوية ولكن حمير التي كانت إلى جانب «عليّ» هي أكبر وأقوى من السكون . وعندما بلغ عليّ قول عمرو ، قال :

لأصبحن العـــاصي ابن العاصي
سبعين ألفاً عاقدي النـــواصي
مجنبـــين الخيل بالقلاص
مستحقبـــين حلـــق الدلاص

والدلاص هي الدروع — الطبري ٤/٥٦٣ .

حاسمة . ولكن بدأ الموقف في التحول ضد مصلحة «معاوية» من حيث ميزان القوى . فقال «عمرو» لمعاوية :

« هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ قال : نعم ؛ قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم ؛ فان أبى بعضهم أن يقبلها ، وجدت فيهم من يقول : بلى ، ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ؛ وإن قالوا : بلى نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا ، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين » .

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم . مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومن لثغور أهلِ العراق بعد أهل العراق ! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا : نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب . وكانت أول نتيجة هي انفصال قوة الخوارج من جيش علي رضي الله عنه. ثم تم الاتفاق على تعيين حكمين على ما هو معروف — « عمرو ابن العاص» عن « معاوية » و« أبو موسى الأشعري» عن «علي» . كما تم الاتفاق على عقد « اجتماع التحكيم » في موقع حيادي . واختيرت «دومة الجندل» مكاناً لذلك . ووقع ما توقعه عمرو بن العاص وبدأ الانشقاق في جيش عليّ وكان الخوارج أول المنشقين .. مما أضعف من موقف أمير المؤمنين «عليّ» . (أنظر قصة التحكيم في نهاية الكتاب) .

كانت مصر خلال هذه الفترة تضطرم ناراً ، فقد كان فيها « قيس بن سعد » يوم وقعت الفتنة ، ونهض أنصار عثمان

وعلى رأسهم « مسلمة بن مخلدة » و« معاوية بن حَديج السكوني »
ولكن « قيس بن سعد » استطاع معالجة الموقف بكفاءة عالية ،
وتمكن من تجنب المجابهة ؛ ولكن أمير المؤمنين علي رضي الله
عنه ، عزل « قيس بن سعد » وولى « محمد بن أبي بكر » مكانه ،
وعندما وصل « محمد بن أبي بكر » إلى مصر ، اجتمع به
«قيس» ونصحه بالاحسان الى «العثمانيين» ففيهم « خيرة
الصحابة » ولهم أنصارهم وقوتهم ؛ ولكن « محمد بن أبي بكر »
خالف كل ما نصحه به « قيس » مما أدى إلى تعاظم الفتنة ؛
وعندما انتهى «معاوية» من «القتال في صفين» وأمكن له تحقيق
نصره السياسي في « قضية التحكيم » التفت إلى أمور «مصر» .
وبدأ بالاتصال مع « أنصار عثمان » مما زاد من هيجان الفتنة ؛
فقرر أمير المؤمنين «عليّ» تعيين «الأشتر» لولاية مصر؛ وأدرك
معاوية خطورة الموقف إن « تولى الأشتر » ولاية مصر.. ونظم
« معاوية » مؤامرة لاغتيال «الأشتر» ونجح فيها . مما دفع «عليّ»
إلى تعيين «قيس بن سعد» على رأس قوة لدعم «محمد بن أبي
بكر» ولكن هذا لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، فقد
أسرع «معاوية» لدعوة من كان معه من قريش « عمرو بن
العاص » و « حبيب بن مسلمة » و «بسر بن أرطأة» و «الضحاك
ابن قيس » و « عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » ومن غيرهم
« أبا الأعور عَمْرو بن سفيان السُلمي » و «حمزة بن مالك
الهمذاني» و «شرحبيل بن السمط الكندي » . وبعد مناقشة الأمر

تقرر توجيه «عمرو بن العاص» لاحتلال مصر [1]

خرج «عمرو بن العاص» ومعه قوة تضم ٦ آلاف مقاتل ، وسار حتى وصل حدود «مصر» ؛ وهناك كتب رسالة إلى « والي مصر للخليفة عليّ » وهو محمد بن أبي بكر جاء فيها :

« أما بعد ، فتنح عني بدمك يا ابن أبي بكر؟ فاني لا أحب أن يصيبك مني ظَفَرْ ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ، ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مُسْلموك لو قد التقت حَلْقَتَا البطان ، فاخرج منها ، فإني لك من الناصحين ، والسلام »

ووصلت هذه الرسالة مع الرسالة التي أرسلها «معاوية» لمحمد بن أبي بكر . فأرسل «محمد» الرسالتين بعد مطالعتهما إلى أمير المؤمنين عليّ مع رسالة يشرح فيها الموقف . وكتب رسالة إلى معاوية ورسالة إلى «عمرو بن العاص» جاء فيها : (أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرتَ في كتابك يا ابن العاص ، زعمت أنت تكره أن يصيبني منك ظَفَر ، وأشهد أنك من المبطِلين . وتزعم أنك لي نصيح وأقسم أنك عندي ظنين ، وتزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري ؛ وندموا على اتّباعي . فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء ؛ فحسبنا الله رب العالمين وتوكلنا على الله رب العرش العظيم ؛ والسلام) .

---

(١) أنظر في نهاية هذا الكتاب ــ ملحق رقم ٤ ــ عودة عمرو بن العاص والتمهيد لها .

وقام الأمير « محمد بن أبي بكر » إلى الناس ، فانتدبهم ، فلم ينتدب معه أكثر من ألفي مقاتل ، وخرج معهم ، ودفع مقدمة لقواته بقيادة « كنانة بن بشر » فأقبل «عمرو» نحو «كنانة» فلما دنا منه ، سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل «كنانة» لا تأتيه كتيبةٌ من كتائب أهل الشام إلا شَدَّ عليها بمن معه ، فيضربها حتى يقر بها « لعمرو بن العاص » . ففعل ذلك مراراً ، فلما رأى ذلك «عمرو» بعث إلى « معاوية بن حديج السكوني » فأتاه بقوة كبرى « مثل الدهم » فأحاط « بكنانة » وأصحابه . واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ، فلما رأى ذلك «كنانة بن بشر » نزل عن فرسه ، ونزل أصحابه ، وكنانة يقول : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابَاً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِين)[1] فضاربهم بسيفه حتى استشهد . ولما رأى « محمد بن أبي بكر » أن أصحابه قد تفرقوا عنه بعد مقتل «كنانة» حتى لم يبق معه أحد ، خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق ، فأوى اليها ، ومضى « عمرو بن العاص » حتى دخل «الفسطاط». وخرج « معاوية بن حديج » يبحث عن «محمد» حتى عثر عليه وهو يكـــاد يموت عطشاً . ووثب أخوه « عبد الرحمن بن أبي بكر إلى « عمرو بن العاص » وكان في جنده . فقال : أتقتل

---

(١) آل عمران : ١٤٥ .

أخي صبراً ! إبعث إلى « معاوية بن حديج » فانْهه ، فبعث إليه « عمرو بن العاص » يأمره أن يأتيه «بمحمد بن أبي بكر» فقال معاوية : أكذاك ! قتلتم « كنانة بن بشر » وأخلي أنا عن «محمد ابن أبي بكر » هيهات (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) [1] وقتله .

انصرف «عمرو» إلى اصلاح ما تهدم من « العلاقات » خلال الفتنة ؛ وعالج الأمور بحكمة وكفاءة عالية ؛ حتى عادت «مصر» قبضة واحدة ؛ وإرادة واحدة ؛ وبدأ العالم الإسلامي يشهد نوعاً من الهدوء والاستقرار ؛ بعد الصراعات الدموية — الداخلية — حيث انصرف كل من أمير المؤمنين — « عليّ » و« معاوية » و « عمرو بن العاص » إلى تنظيم أموره ، وظهر احتمال عودة الوحدة السياسية بين زعيمي الإسلام « أمير المؤمنين عليّ » و « أمير الشام معاوية » . وهنا ظهرت «المؤامرة» التي قضت على « أمير المؤمنين عليّ » في فجر ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ — حيث تعهد ثلاثة من «المتآمرين» بقتل « علي ومعاوية وعمرو » في تلك الليلة .

وتصادف في تلك الليلة أن « عجز عمرو بن العاص » عن الخروج لصلاة الفجر ، فكلف قائد شرطته « خارجة بن حذافة » بإمامة الناس والصلاة بهم ، وخرج «خارجة» فهجم عليه « عمرو بن بكر » دون أن يميزه « وطعنه فقتله » فأخذه

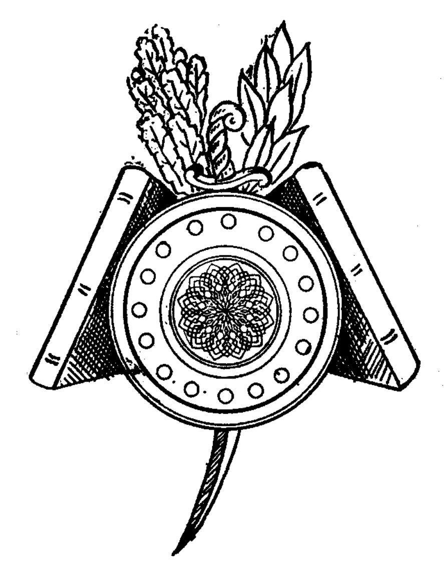
---

(١) سورة القمر — ٤٣ .

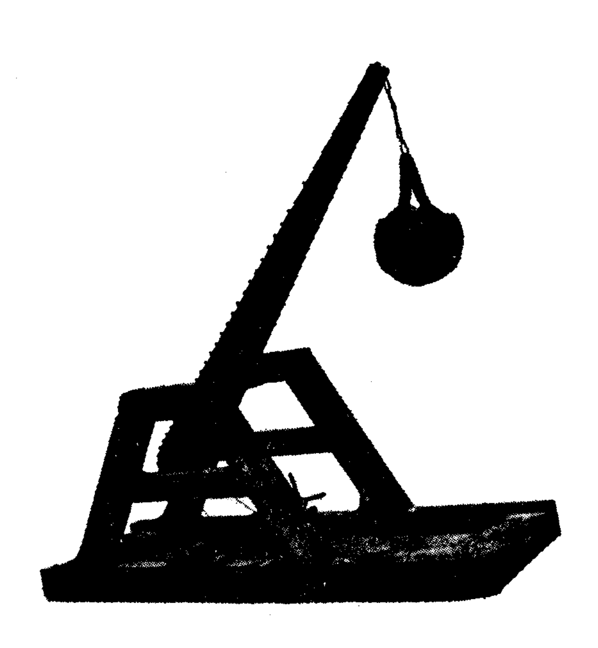
الناس ، فانطلقوا به إلى «عمرو» يسلمون عليه بالإمرة ، فقال مَنْ هذا ؟ قالوا : « عمرو » . قال : « فمن قتلتُ» ؟ قالوا : « خارجة بن حـُذافة » قال : « أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك » فقال «عمرو» : أردتني وأراد الله « خارجة » فقدمه « عمرو» فقتلـــه .

تقدمت سنوات العمر بوالي مصر « عمرو بن العاص » وأدركته الشيخوخة ، وعرف أن المنية تقترّب منه « فحول وجهه إلى الحائط يبكي طويلاً » وابنه يقول له : ما يبكيك ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ .. أما بشرك بكذا ؟ حتى أقبل بوجهه ؛ وقال : إن أفضل ما تـَعـُد عليّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ . ولكني كنت على أطباق ثلاث : قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إليّ من رسول الله ﷺ ولا أحب إليَّ من أن أستمكن منه فأقتله ، فلو متّ على تلك الطبقة لكنت من أهل النار . ثم جعل الله الإسلام في قلبي ؛ فأتيت رسول الله ﷺ لأبايعه ، فقلت : ابسط يمينك أبايعك يا رسول الله ، فبسط يده ، ثم إني قبضت يدي . فقال : مالك يا عمرو ؟ فقلت : أردت أن أشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : أشترط أن يغفر لي . فقال : أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؛ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ؛ وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتني ما من الناس أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه ، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني

اجلالاً له ، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة . ثم ولينا أشياء بعد ، فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها . فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فاذا دفنتموني فسنوا عليّ التراب سناً ، فإذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قدر ما ينحر «جزور» ويقسم لحمها ، فاني أستأنس بها حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي . ثم قال : اللهم لا بريء فاعتذر ولا عزيز فأنتصر ؛ وإلا تدركني برحمة أكن من الهالكين [1] ثم أخذ يردد « لا إله إلا الله » فلم يزل يرددها حتى مات بمصر (يوم الفطر سنة ٤٣ للهجرة) عن عمر يناهز التسعين عاماً .



(١) طبقات ابن سعد ٢٥٩/٤ ـ ٢٦٠ .



الفصل الثاني

عمرو بن العاص وفن الحرب

موقع « عمرو بن العاص » من فن الحرب

آ– في الاستراتيجية العليا :

١ – الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .

٢ – بناء المجتمع الجديد .

٣ – وضوح الهدف .

٤ – الحرص على العنصر العربي «دعامة الإسلام» .

٥ – استراتيجية « الهجوم غير المباشر » .

٦ – استراتيجية « الحرب التشتيتية » .

٧ – استراتيجية « الهجمات الوقائية » .

ب – في مبادىء الحرب :

١ – المباغتـــة .

٢ – أمن العمل .

٣ – القدرة الحركية .

٤ – المبادأة واستخدام القوة الهجومية .

٥ – مبدأ الاقتصاد بالقوى .

٦ – المحافظة على الهدف .



موقع عمرو بن العاص من « فن الحرب »

(والله ان حرب – عمرو بن العاص – لينة ؛ ما لها سطوة ولا سَورة كسورات الحروب من غيره ؛ إن عمراً لعض)
(رمينا « أرطبون » العرب بأرطبون « الروم » فانتظروا عم تنفرج) .

مقولتان لأمير المؤمنين «عمر» تظهران الصفة «الخصوصية» لحروب « عمرو بن العاص » ؛ الأولى الوصول إلى « هدف الحرب » باتباع طريقة تختلف عن المجابهة المباشرة وعـدم الاعتماد على « الحسم في الصراع المسلح » وحده ، وهو ما أصبح يعرف في عالم فن الحرب الحديث باسم «استراتيجية الهجوم غير المباشر » . والثانية هي « دهاء عمرو بن العاص » وتسخير هذا الدهاء للوصول إلى « هدف الحرب » وكان «أرطبون» على ما هو معروف في التاريخ – من أدهى الخلق – .
وكان أمير المؤمنين عمر من أقدر رجـال التاريخ على تقويم

« أهمية العوامل المختلفة التي تصنع النصر » كما كان من أكثرهم « خبرة بالرجال » وعلى هذا فان وصفه لقائده «عمرو ابن العاص» بتلك الصفات ، إنما يحدد « الصفة الخصوصية » للقائد «عمرو» في إطار «الاستراتيجية العامة» لفن الحرب عند العرب المسلمين .

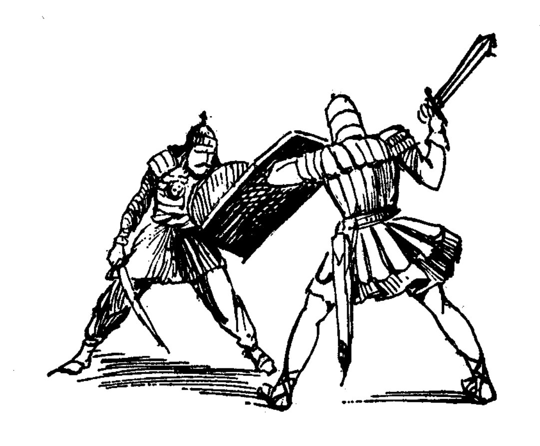
لقد مارس «عمرو بن العاص» دوره القيادي في عهد رسول الله ﷺ ثم كان أحـــد قادة جيوش الشام ، وقاد قوات المسلمين في فتح مصر ، وقاد بعد ذلك القوات في « الحرب الأهلية الدينية » وكانت القيادة في هذه الحرب الأخيرة أقرب ما تكون إلى « قيادة القوات في الحروب الثورية » ثم عاد «عمرو» إلى مصر . وقاد حرباً من هذا النوع أيضاً . فكانت قيادته متنوعة ، وبرهان على نجاحه في جميع الأحوال ؛ ولئن كانت قيادة قوات المسلمين حتى فتح مصر هي قيادة لقوات ثائرة « وفق المفهوم الحديث » فقد كانت قيادته للقوات في « الحرب الأهلية » ذات طابع مميز . تمتزج فيها قناعات مختلفة عن تلك التي تمت ممارسة الفتوح في إطارها ومضمونها ولا ريب أن هذه الصعوبة الاضافية تشكل عقبة لم يكن من السهل تجاوزها . وقد يكون من الصعب هنا فصل دور « معاوية بن أبي سفيان » عن دور « عمرو بن العاص » فقد كانا يمارسان معاً دورهما القيادي « بالتكافل والتضامن » في جميع الأمـــور صغيرها وكبيرها . ولكن رغم ذلك لا يمكن الا الاعتراف بالدور الخاص الذي مارسه « عمرو بن العاص » في مجال « فن

الحرب » لاسيما وأنه كان يمارس القيادة الفعلية « لقوات الثورة » اذا صح التعبير . وليس المجال هنا هو مجال « عقد محكمة في رحاب التاريخ » لاثبات صحة منطلقات الثورة أو الثورة المضادة . فقد مضى الجميع ؛ ومضت وراءهم مئات السنين ؛ وبقيت أعمالهم في ضمير التاريخ ؛ وقد يكون هناك ثمة اختلاف في « تقويم » منطلقات «الثورة» و « الثورة المضادة » ،

وقد يكون هناك « اختلاف أيضاً » بالنسبة لنتائج الثورة ؛ وانعكاساتها على مستقبل « العالم الإسلامي » إلا أن القضية التي لا تقبل «الاختلاف» هي أن « قيادة عمرو بن العاص » كانت قيادة «رائدة» في مجال «فن الحرب» . فقد مارس «عمرو» قيادته في ظروف مختلفة ؛ وكان من « قادة الفتح الأوائل » . ووضع « مبادىء الحرب التقليدية » موضع التطبيق العملي .

كان « عمرو بن العاص » قائداً موهوباً ؛ وورث «الحكمة» والدهاء عن أسلافه وكان يطمح باستمرار لممارسة هذا الدور القيادي ؛ ولكنه لم يكن قادراً على تحقيق تلك النجاحات التي حققها لولا «استيعابه» لعقيدة الإسلام الدينية ، ولولا قدرته على تمثل « العقيدة القتالية الإسلامية » كما أنه لم يكن قادراً — يقيناً — على تحقيق تلك النجاحات أيضاً لولا وجود جيل من المجاهدين ، لا يعرفون غير الجهاد في سبيل الله طريقاً إلى الجنة . ولقد كانت هذه المعطيات مشتركة بين قادة العرب المسلمين جميعاً . إلا أن «خصوصية » عمرو بن العاص هي التي أعطت لتطبيقاته ميزاتها .

ومن هنا ظهر « التجديد والتطوير » في « فن الحرب » عند العرب المسلمين ، ولعل هذه الميزات هي أفضل ما يمكن أن تتصف به القيادة «الرائدة والمجددة » .



آ ـ في الاستراتيجية العليا

١ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

كان «عمرو بن العاص» واحد من القادة الأربعة الذين توجهوا لفتح الشام ، وقد قرر هؤلاء القادة التراجع حتّى «الجولان» للبقاء على اتصال « بقاعدة إمدادهم ودعمهم في الجزيرة العربية » . وقد انصرف «عمرو» بعد «اليرموك» وفتح «دمشق» وتوجه إلى «فلسطين» قاعدة عملياته الأساسية ؛ فقضى على «الحاميات» الموزعة في «أجنادين» و «ايلياء» ـ بيت المقدس ـ و «فحل» وافتتح بقية المدن ؛ وهكذا لم يفاتح أمير المؤمنين «عمر» في موضوع فتح «مصر» حتّى أمكن له «تنظيم قاعدة قوية ومأمونة في فلسطين . وعندما عرض «ابن العاص» على أمير المؤمنين «مشروعه» لفتح مصر ـ قال له : (انك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً) وعلى هذا فقد استند في مشروعه إلى فكرة « إقامة قاعدة قوية ومأمونة » تضمن حماية

الفتوح في الشام من جهة . وتضمن الانطلاق الى مزيد من الفتوحات ، من جهة أخرى . ويتأكد ذلك من خلال اقتراحه بعد « احتلال طرابلس » في «ليبيا» التوغل « لفتح أفريقيا ». كما يتأكد حرص «ابن العاص» أيضاً على « تأمين القاعدة القوية » من خلال تصرفه أثناء « حصار الاسكندرية » فعندما تأخر فتح الاسكندرية ؛ ولم تكن قد مضت فترة طويلة على فتح «بابليون» أسرع «ابن العاص» نحو الجنوب ليقيم في «بابليون» بعد أن ترك الجيش بقيادة « خارجة بن حذافة » وبذلك ضمن حماية « مؤخرة الجيش » الذي يمارس عملياته ضد الاسكندرية ؛ كما ضمن استمرار العمل لتأمين القاعدة القوية . وفي الوقت ذاته فان توجيه القوات نحو الجنوب « بقيادة عقبة بن نافع الفهري » لم يكن أكثر من تأمين قاعدة قوية في « مصر » . وهنا تظهر قضية تناقض الصورة العامة للموقف . فقد كانت «عملية» اقامة قاعدة قوية ومأمونة – في مصر– تتطلب فترة زمنية غير قصيرة (لاقامة المجتمع الجديد ؛ وتنظيم التأمين المادي للقاعدة ؛ ومعرفة الطبيعة الجغرافية والبشرية والاقتصادية للاقليم الخ ...) وعلى هذا فقد يكون طلب «عمرو» إلى أمير المؤمنين «عمر» السماح له بتجاوز الحدود للتوغل في أفريقيا – ولم تمض سوى فترة قصيرة على « فتح مصر » – هو أمر يتناقض مع مبدأ « إقامة قاعدة قوية ومأمونة » وهنا يأتي أمر « أمير المؤمنين عمر » ليضمن فرض القيود اللازمة للتوقف والانصراف إلى عملية « إقامة القاعدة القوية والمأمونة » . وقد يكون السبب

في هذا التناقض هو اعتقاد « عمرو بن العاص » بقدرته على التوغل ؛ مع المحافظة على « القاعدة في مصر » ومهما كان عليه الموقف ؛ فان التزام «عمرو بن العاص» بالاستراتيجية العليا للعرب المسلمين ؛ لم يكن التزاماً « حراً دون ضوابط » وانما كان مقيداً بارادة « القيادة العليا » المسؤولة عن التخطيط الاستراتيجي والتي كان يمارسها عملياً أمير المؤمنين عمر – خلال مرحلة فتح مصر – . وبعد ؛ « فالقاعدة القوية والمأمونة » ليست مجرد منطقة عسكرية تتمركز فيها القوات للقيام بأعمال قتالية محددة ؛ وانما هي منطقة وإقليماً يضم مجموعة من الشروط « كتوفر القدرة البشرية ؛ والموارد المادية القادرة على دعم عمليات القوات المسلحة ؛ والموقع الجيوستراتيجي الذي يضمن حرية العمل العسكري » وقد أدرك « عمرو بن العاص » أهمية هذه العوامل جميعها عندما نصح «معاوية» بالاسراع لاحتلال «مصر» وانتزاعها من « محمد بن أبي بكر » ويكون « عمرو بن العاص » بذلك أول من حدد المعطيات وأول من أبرز الخصائص التي يجب توفرها في القاعدة حتى تصبح قوية ومأمونة . وقد لا تكون هناك حاجة للقول إن تحويل المناطق والأقاليم لتكون قاعدة قوية ومأمونة هي عملية لا تنفصل عن استراتيجية « بناء المجتمع الجديد» وقد حقق «ابن العاص» نجاحاً رائعاً – بدلالة ما أحرزه من نصر وما لقيه من دعم عند عودته إلى مصر .

٢ – بناء المجتمع الجديد :

عندما فتحت «الاسكندرية» جمع السبي ، وتركت لهم حرية الاختيار ، وخرج أهل الاسكندرية ليشهدوا ذلك ، وجعل المسلمون يأتون بالرجل ممن في أيديهم ، ويترك له حرية الاختيار بين الإسلام وبين النصرانية ، فاذا اختار الإسلام كبَّر المسلمون تكبيرة هي أشد من تكبيرتهم حين تفتح لهم قرية ، ثم يضموه اليهم . واذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه اليهم ، وفرض المسلمون عليه الجزية ، وجزعوا من ذلك جزعاً شديداً ، حتى كأنه رجل خرج منهم إلى النصارى ، وكان ذلك دأبهم حتى فرغوا من جميع الأسرى . وقد أتي فيمن أتي به عبد الله ابن عبد الرحمن ، فعرض عليه الإسلام والنصرانية ، وأبوه وأمه وإخوته في النصارى فاختار الإسلام ، فضموه إليهم ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبون المسلمين حتى تمزقت ثياب عبد الله ، ولم يلبث عبد الله أن أصبح (عريف بني زُبيد)[1] وعندما عزل عثمان – رضي الله عنه – والي مصر وعين مكانه « عبد الله بن سعد » وجاء « عمرو بن العاص » إلى المدينة فدخل على الخليفة ، عاتبه أمير المؤمنين «عثمان» على قلة ما كان يجبيه من الخراج وقال له مقولته المعروفة « يا عمرو ، هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك ! فقال عمرو :

---

(١) الطبري ١٠٦/٤ .

إن فصالها هلكت »[1] . وكان في وقت الفتح لمصر رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى « يوحنا النحوي » كان قسيساً قبطياً من أهل الاسكندرية . وفي هذا الزمان اشتهر بين الإسلاميين بيحيى المعروف (بغرماطيقوس) أي النحوي ، وكان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ؛ ويشيد عقيدة «ساورى» ، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث ، فاجتمع اليه الأساقفة «بمصر» وسألوه الرجوع عما هو عليه ، فلم يرجع ، فأسقطوه من منزلته ؛ وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة « الاسكندرية » فأكرمه « عمرو» . وكان « عمرو» عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . كما عمل « عمرو» على إرجاع « بنيامين» بطريق الاسكندرية إلى مركزه بعد أن عزله «الروم» مدة ١٣ سنة . وأحسن «عمرو» استقباله ؛ ومنحه السلطة المطلقة لإدارة شؤون الكنيسة ، وأقام «باسيلي» أسقف «نقيوس» حفلاً لاستقبال « بنيامين » وألقى خطبة امتدح فيها سلوك العرب المسلمين . وكان رد «بنيامين» (لقد وجدت الاسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كانت تنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون) . ولم يفرق العرب بين « الملكانية واليعاقبة » مـــن

---

(١) الطبري ٢٥٦/٤ وهو يشبه مصر « بالبقرة» التي زاد حليبها بعد ولاية عبد الله فكان جواب عمرو أن ذلك على حساب الحليب الذي يجب تركه لرضاعة مواليد البقرة أو « الخراف » وإن زيادة الخراج انما يعني هلاك أهل مصر وارهاقهم .

المصريين الذين أصبحوا متساوين أمام القانون ؛ والذين أظلهم العرب بعدلهم ؛ وحموهم بحسن تدبيرهم . وقد ترك العرب الأرض للمصريين ؛ وأخذوا على عاتقهم حمايتهم؛ وأمنوهم على أنفسهم ونسائهم وعيالهم ؛ فشعروا براحة كبيرة لم يعرفوها منذ زمن بعيد ؛ ولم تقتصر أعمال العرب على ذلك ، بل إنهم أعادوا الأمن والنظام إلى البلاد ، وقاموا بالاصلاحات العظيمة ؛ فنظموا الادارة ؛ ونصبوا القضاة ، ورسموا خطة جباية الخراج ، وعنوا عناية كبرى بالأعمال الخاصة بهندسة الري من كري الخلجان ، وبناء مقاييس للنيل . وانشاء الأحواض والقناطر والجسور . وكان من أثر ذلك أن تحسنت حال القبط ؛ وزادت ثروتهم . كما كان مقدار الجزية صغيراً — ديناران — واستثني منها النساء والشيوخ والأطفال — هذا مع عدم تحميل المصريين أكثر مما يطيقون ، وربط الجزية بالانتاج فاذا كان هناك قحط أو سواه تم تخفيض الجزية . وبهذه الطريقة أتيح «لعمرو» تنفيذ تعليماته على أهون سبيل . (وكان «عمرو» يضع مصلحة المصريين نصب عينيه ، ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم ، فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته) ويذكر توماس أرنولد ما يلي : (يرجع النجاح السريع الذي أحرزه العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي ؛ لما عرف من الإدارة الظالمة وما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت : فان اليعاقبة الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من السكان المسيحيين عوملوا

معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط ؛ الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم) [1] وقد لا تكون هناك حاجة للحصول على الشواهد للبرهان على عدالة العرب المسلمين ، أو حكمة « عمرو ابن العاص » والتزامه « بالهدف من الحرب — أو الهدف السياسي » فمتابعة مسيرة الفتح في حد ذاتها كافية لابراز مقدار النجاح الذي حققه «ابن العاص» في التوفيق بين «هدف الحرب — وهدف السلم » ولم يكن اطلاق سراح «أرمانوسة» وتكريمها وإعادتها لأبيها ، وكذلك الفصل بين «الروم» كقوة احتلال ، و «القبط» كشعب مضطهد سوى نتيجة طبيعية لتطبيق «السياسة الاستراتيجية للحرب » وفق مفهوم المسلمين وعقيدتهم «الدينية» و «القتالية» وبذلك ظهرت قوات المسلمين « في الشام والعراق ومصر » كقوات تحرير ذات أهداف نبيلة ؛ ومن هنا أخذت « حروب المسلمين طابعها » «العادل» حتى وفق أفضل المفاهيم «التقدمية» في العصر الحديث . ولقد اشتهرت منذ أيام «عمرو ابن العاص » مقولات « ان الله قد بعث محمداً هادياً لا جابياً ؛ وكذلك : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » لتصبح قواعد ثابتة في اقامة المجتمعات الاسلامية . وقصة « عمرو بن العاص » وابنه «عبد الله» مع القبطي ، وانتصار أمير

---

(١) الدعوة إلى الإسلام . سير توماس آرنولد — ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن . ص ١٢٣ .

المؤمنين « عمر » للقبطي ، وايقاع القصاص « بابن العاص » هي بعض الشواهد على أسس بناء المجتمع الإسلامي الجديد .

وقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوماً ؛ وخطب فقال : « يا أيها الناس ؛ إني والله ما أرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ؛ ولا ليأخذوا أموالكم ؛ ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ . فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه . فوثب عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية . فأدب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ! قال : إي والذي نفس عمر بيده إذاً لأقصنه منه ؛ وكيف لا أقصه منه وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يُقِص من نفسه ! **ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ؛ ولا تجمروهم**[1] **فتفتنوهم ،ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ،ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم** »[2] .

لقد أظهر «ابن العاص» كفاءة عالية في إدارة أمور الحرب ؛ وتنظيم شؤون السلم ؛ وتحقيق التوافق والتوازن في ذلك كله ،

---

(١) جمر الجند : حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم . وقد حدد عمر أقصى مدة يمكن ابعاد الجندي فيها عن وطنه هي مدة ستة أشهر (مدة الصائفة أو الشاتية) .

(٢) الطبري ٤/٢٠٤ .

وخوض الحرب بما لا يتعارض مع اقامة سلم مقبل . والعمل على « تقنين الحرب » بدقة محكمة . كل ذلك في إطار « مبادىء العقيدة الإسلامية » وكل ذلك تحت اشراف ادارة حازمة وقوية يمثلها « أمير المؤمنين عمر » . ويمكن الحاق النسبة الكبرى في نجاح المسلمين باقامة المجتمع الإسلامي إلى « العقيدة الإسلامية » كما يمكن الحاق نسبة منها الى ادارة الدولة والمركزية القوية والحازمة لأمير المؤمنين عمر . ولكن ذلك كله لا ينتقص من كفاءة «عمرو بن العاص» بقدر ما يعتبر رصيداً لمصلحته . فقد ساعده « استيعاب العقيدة الإسلامية » على انماء مهاراته القيادية . وبذلك حقق نجاحاته الرائعة في تحويل مصر إلى قاعدة إسلامية قوية . انطلقت منها الفتوحات حتّى وصلت الأندلس .

٣ ـ وضوح الهدف :

تبرهن مطالعة سيرة «عمرو بن العاص» أنه ما من قائد عرف « هدفه بوضوح » مثله ، وليس ذلك في مجال حياته الخاصة والعامة وإنما أيضاً وقبل كل شيء في مواضيع السلم والحرب . فقد أقبل « عمرو» على الإسلام « بعد أن آمن » وطمع في قيادة الجيوش في الشام ؛ وعندما «عجز» عن بلوغ غايته ، أفاد من أول فرصة له لممارسة قيادة مستقلة ، فكان له فتح مصر . وعندما اضطربت الأمور ؛ وعزل عن ولاية مصر ، أقام في فلسطين سنوات وهو يعمل حتّى حقق هدفه

فعاد والياً على مصر . وخلال الحرب الأهلية ؛ أفزعه – دون ريب – ما كان من استنزاف قوة المسلمين ، فاتخذ من « رفع المصاحف على الرماح » ذريعة لايقاف الاقتتال . وقد تكون هناك تفسيرات كثيرة لهذا السلوك ، ولكن النتيجة كانت إيجابية يقيناً ، فقد أمكن إيقاف النزيف المرعب الذي كان يتهدد المسلمين ؛ وكان « وضوح الهدف » عند « ابن العاص » هو الذي يساعده على إيجاد « الحجج القوية » لاقناع خصومه وأصدقائه على السواء لتبني وجهة نظره والعمل بها . وقد لا تكون هناك حاجة للقول – بعد ذلك – إن « هدف العمل الحربي » عبر العصور بقي ثابتاً وهو « نزع سلاح العدو ، ودفعه للسير وفق إرادة الطرف الآخر ؛ ووضعه في موقف يقنعه بالتسليم حتّى – يوفر التضحيات المحتملة – » وقد تعددت النظريات حول الوسائل التي يمكن اتباعها للوصول إلى الهدف ، ولكن قراءة التاريخ تبرهن على أن الوسيلة المثلى هي اتباع « استراتيجية الهجوم غير المباشر » للوصول إلى « هدف الحرب » . وتظهر سيرة «عمرو بن العاص» أنه كان من بين أكثر القادة كفاءة في تحقيق هذا الهدف بتلك الوسائل . « هدف الحرب بوسائل استراتيجية الهجوم غير المباشر » . ولم تكن « المعركة عند ابن العاص » رغم تأكيده على أهميتها ودورها في الوصول إلى «الهدف» سوى وسيلة مقننة بدقة ؛ ومحددة بوضوح للوصول إلى «السلم» ويعود الفضل – في الواقع – إلى العقيدة الإسلامية الدينية ؛ والى العقيدة القتالية للمسلمين ؛ إذ أن هذه العقيدة هي

التي «قننت» و «حددت» « هدف السلم » و «هدف الحرب» . وتأتي كفاءة «ابن العاص» في استيعاب معطيات هذه العقيدة وتطبيقها بما يتوافق مع الموقف .

لقد أبرزت «حروب القرن العشرين» بصورة خاصة أهمية « الوضوح في الهدف » سواء من أجل «تقنين الحرب» أو « من أجل بناء عالم « ما بعد الحرب» لاسيما بعد أن اتسعت مسارح العمليات وبعد أن تعاظمت القدرة التدميرية للأسلحة الحديثة . وقد مارس القائد المسلم « عمرو بن العاص » استخدام هذا المبدأ « في مجال الطرح النظري وفي مجال التطبيق العملي » منذ القرن السابع الميلادي ؛ وبذلك يكون قد أرسل ظلاً متقدماً لأسس الحرب التقليدية ، يمتد إلى أكثر من ثلاثة عشر قرناً من عمر الزمن . ويمكن في هذا المجال اعتبار « القائد عمرو بن العاص » نسيجاً وحده . وشخصية قيادية مميزة . ذلك أن « هدف المسلمين » كان واضحاً جداً وهو « إقامة المجتمع الاسلامي » وتقنين « هدف الحرب » في حدود الهدف السلمي . أما الوسائل فقد بقيت مرنة وخاضعة للعامل «الشخصي» وهذا ما ضمن توافر الفرصة لتطوير «الوسائل» وفق المواقف المختلفة . وليست هناك حاجة للقول إن « وضوح الهدف » يتطلب قبل كل شيء « معرفة هذا الهدف » كما يتطلب « كفاءة عالية لتقويم الأمور ووضعها في مكانها الصحيح » وقد عرف عن «عمرو بن العاص» الحدة في الذكاء ؛ والدهاء ؛ والعقل الراجح ؛ مما ساعده على احتلال مركز الطليعة بين قادة العرب المسلمين ، وساعده أيضاً على تطوير « فن الحرب » .

٤ ـ الحرص على العنصر العربي « دعامة الإسلام » :

كان عمرو بن العاص قائداً ينشد « النجاح » ويسعى له ؛ ويستخدم كل الامكانات لبلوغه ؛ وكانت تتحكم بأعماله العسكرية مجموعة من العوامل ؛ أبرزها « ضعف القدرة العددية» سواء بالنسبة للقوى التي كانت تجابه المسلمين ـ منذ البداية ، أو بالنسبة لمجموعة التحديات المفروضة والاحتمالات المتوقعة ؛ أو حتّى غير المتوقعة ؛ ويمكن تفسير حرص «عمرو ابن العاص» على العنصر العربي ؛ دعامة الإسلام ؛ على ضوء هذه المعطيات . لاسيما وقد التزم قادة العرب المسلمين جميعاً بهذا المبدأ ، ولكن قد يكون من غير الطبيعي تفسير التزام « عمرو بن العاص » بهذا المبدأ أنه مجرد تقليد لغيره من قادة المسلمين ؛ أو حرص على النجاح فقط . « فعمرو بن العاص » قائد عربي مسلم ومؤمن قبل كل شيء . وهو إذ يقود قواته لتحقيق « هدف عادل ونبيل » فانما يفعل ذلك وهو يضع في اعتباره أن «النصر» لن يكون نصراً حقيقياً إلا إذا أمكن له تحقيقه بثمن مقبول . وهو لذلك يوازن منذ « غزوة السلاسل » التي كلفه الرسول ﷺ بقيادتها بين حجم قواته وحجم قوات خصمه ، وعندما يجد أن حجم القوى قد لا يساعده على تحقيق النصر الحاسم ـ بحد أدنى من التضحيات ـ يتوقف في موضعه ويطلب إمداده بقوات دعم إضافية ، وفعل مثل ذلك عندما توجه إلى الشام ، ووجد أن «قوات الروم» قد تداعت لحرب

المسلمين وفعل ذلك من جديد يوم توقف « أمام حصن بابليون » ووجد أنه لا يستطيع تنفيذ عملياته دون مزيد من الدعم . وعندما وصله هذا الدعم عمل على تطوير أعماله القتالية . وعلى هذا فقد كان حرص « عمرو بن العاص» على تجنب القتال عندما لا تتوافر له القناعة بالقدرة على حسم الصراع المسلح هو وسيلته التي يستخدمها «للمحافظة على العرب المسلمين» . ولقد حاول في إطار الحرب الأهلية « الاقتصاد قدر المستطـــاع بالقوى » . ولم تكن رسالته إلى « محمد بن أبي بكر» ونصيحته بالابتعاد وتجنب القتال سوى وسيلة للتعبير عن «حرصه لصيانة العنصر العربي والمحافظة عليه » .

لقد جاء الإسلام فقضى على عصبية الجاهلية ؛ وأحل محلها « رابطة الإسلام » وكلف العرب بحمل راية الإسلام ؛ فأصبح شرف الجهاد هو الذي يجمع العرب ويوحدهم برابطته القوية ، ومما يبرهن على ذلك « حرمان المرتدين من شرف الجهاد » ويصبح من الطبيعي – بالتالي – أن يحرص كل قائد مسلم على حياة جنوده المكلفين بحمل الرسالة ، ولكن « عمرو ابن العاص » ترجم هذا الحرص بصورة عملية ؛ وعن طريق الممارسة واستخدام كل الامكانات المتوفرة للوصول إلى « هدف الحرب » بأقل خسارة ممكنة في الرجال ، وعلاوة على ذلك ؛ فقد كان جهد « عمرو بن العاص » موجهاً بالدرجة الأولى ، لبناء « المجتمع الإسلامي » – بعد الحرب – وقد ظهر ذلك واضحاً في حروبه كلها – بما فيها حروب الردة –

فكان لزاماً أن يتحقق « هدف الحرب » مع الخروج منها بقوة كافية – للعمل السياسي – و « بناء مجتمع ما بعد الحرب » .

وهكذا ؛ وحتى لو كان حرص « عمرو بن العاص » على العنصر العربي – دعامة الإسلام – مجرد استجابة للمواقف المفروضة ؛ وحتى لو كان أيضاً مجرد تلبية «للحاجة» فقد كانت نتائج حروبه مذهلة من حيث تحقيقها لهذا المبدأ . ولعل حرص « عمرو بن العاص » على العنصر العربي هو الذي كان يدفعه لمجابهة الأخطار « بنفسه » والقيام بالمغامرات «الشخصية» مثل « ذهابه إلى أرطبون » لاستطلاع مواقعه ومعرفة نقاط ضعفه . فاستطاع بذلك تحقيق النصر بأقل جهد قتالي ممكن مما ضمن له وقاية قواته والمحافظة عليها . ويبقى «عمرو بن العاص» بعد ذلك كله قائداً عربياً مسلماً يحرص على ما يحرص عليه المسلمون ؛ وقد كان المسلمون « يفتدون بعضهم بعضاً – فكان من الطبيعي أن تمارس الأصالة العربية دورها فتحمل «عمرو» على مبادلة قواته « حرصاً بحرص » و « وفاء بوفاء »

٥ – استراتيجية « الهجوم غير المباشر » :

لعله ما من استراتيجية يمكن لها تمييز أساليب « عمرو بن العاص » القيادية ؛ مثل استراتيجية « الهجوم غير المباشر » . ويمكن من خلال استعراض سيرة «عمرو» القيادية ايجاز الملامح العامة لهذه الاستراتيجية على النحو التالي :

١) معرفة الخصم معرفة دقيقة .

ولعل « عمرو بن العاص » من أكثر القادة الذين أفادوا من ميزة معرفة الخصم ، وتحديد نقاط ضعفه وقوته ، والانقاص من أهمية عناصر القوة مع التركيز على نقاط الضعف بحيث يشعر هذا الخصم أن نتيجة المعركة « مقررة مسبقاً في غير صالحه » حتى قبل البدء بها ؛ وقد عرف « عمرو بن العاص » على سبيل المثال ؛ موقف زعيم قضاعة — قرة — وهدده بقوله : موعدك حفش أمك ووالله لأوطئن عليك الخيل ، فما كان من « قرة » إلا أن جاء مستسلماً لأمير المؤمنين بعد أن تولت قوات المسلمين اجتياح أرضه ، وفي الشام ؛ كان هناك أكثر من موقف يبرهن على استخدام «عمرو» لمعرفته بالخصم حتى يتمكن من القضاء عليه ومهاجمته من نقاط ضعفه .

٢) إخضاع الخصم لأساليب الحرب النفسية .

لم تكن طرائق « الحرب النفسية » وأساليبها معروفة بصيغتها العلمية الحديثة في عهد القائد « عمرو بن العاص » لكن استقراء « مسيرة الأعمال القتالية » التي قادها تبرهن على أنه استخدم جميع الطرائق الممكنة والوسائل المتوافرة لاقناع خصومه «بعدم جدوى مقاومتهم » ولم تكن عملية « حبس سفراء المقوقس » لمدة يومين في معسكره سوى وسيلة « لاظهار قوة العرب المادية والمعنوية » مقابل « الضعف في الروح المعنوية عند الخصم » مما حمل المقوقس على الاعتراف بقوله : (لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ؛ وما يقوى على قتال هؤلاء أحد)

٣) اللجوء إلى أسلوب « الترغيب » :

ولقد كانت عبارة « لكم ما لنا وعليكم مـــا علينا » تعبيراً عن مبدء فريد في التاريخ ؛ وصحيح أن هذا المبدأ قد جاء به الإسلام وهو في جوهر العقيدة الإسلامية ، إلا أن «عمرو» طبقه بكفاءة عالية . ولعل النصوص التي جاءت في الاتفاقية بين « عمرو بن العاص » و «المقوقس» هي شهادة كافية على ذلك ؛ كما أن ارسال « ابنة المقوقس » إلى أبيها — لم تكن سوى وسيلة «ترغيب» — وهي وسيلة منسجمة وطبيعة الانسان العربي في التصرف بنبل عند المواقف التي يصل فيها الخصم إلى موقف الضعف . وهكذا كانت « أصالة العروبة » عند «عمرو» وعمق الايمان لديه هما العاملان الموجهان له في سلوكه عند مجابهة مثل هذه المواقف . وعلاوة على ذلك ، فان «عمرو بن العاص» لم يحاول ، لا في المرحلة الأولى من الفتح ولا بعدها ، انتزاع إدارة البلاد من أهلها . فكان لذلك دوره في تحقيـــق التوافق بين الطرح النظري للمبادىء وتطبيقها عملياً . مما ضمن له « كسب ثقة المصريين » وحملهم على مبادلته وفاء بوفاء ؛ والاخلاص له ودعمه بكل الوسائل الممكنة .

٤) العناد في الحرب والصمود في القتال :

فقد استمر حصار «أرطبون» في «أجنادين» فترة طويلة لم يظهر العرب خلالها أي تهاون أو ضعف يشير إلى احتمال تراجع المسلمين عن هدفهم ؛ وكذلك فعلوا عندما حاصروا «الفرماء».

وقد حاصر المسلمون « حصن بابليون » أكثر من ستة أشهر ، ما وهنوا ولا ضعفوا ولا ترددوا . وكذلك فعلوا عندما حاصروا الاسكندرية طوال فترة لم يتوقف فيها القتال وكان هذا التصميم كافياً لاقناع أعداء المسلمين بصدق تهديداتهم وصدق وعيدهم وعنادهم في القتال حتى يبلغوا هدفهم . وكان هذا العناد «في حوار الارادات» عاملاً في جملة العوامل التي أقنعت أعداء المسلمين باستمرار في الخضوع لارادتهم ؛ والتخلي عن «الصراع المسلح» واعتماد أسلوب الحوار السياسي بديلاً عنه ؛ وكان ذلك بدقة ما يريده المسلمون ويعملون له .

٥) القيام بالتظاهرات القوية وتوجيه الضربات الحاسمة لقلب ميزان القوى :

وكان « عمرو بن العاص » — كما تظهر سيرة أعماله القيادية — شديد الحساسية بالنسبة لموضوع ميزان القوى ؛ ورغم معرفة «عمرو بن العاص» لضعف قوته العددية . وايمانه بأنه من المحال على العرب المسلمين الوصول إلى التعادل العددي في ميزان القوى ، وأن هذا التعادل يأتي عن طريق « التفوق النوعي للمسلمين » . إلا أن « عمرو بن العاص » كان يعمل باستمرار لاجراء الاضطراب في ميزان القوى للوصول إلى موقع التفوق العددي أيضاً . سواء بواسطة تجزئة المعارك واستنزاف قدرة عدوه على مراحل ؛ أو عن طريق توجيه الضربات القوية والحاسمة . وقد كان كمين المسلمين لقوات

الروم في « عين شمس – هليوبوليس » مشابهاً من حيث الظروف ومن حيث النتائج أيضاً لمعركة «أجنادين» . إذ أمكن في هذه المعركة تدمير الكتلة الرئيسية لقوات العدو عن طريق « الحيلة – أو – الاستخدام الماهر لفن الاستراتيجية » وبذلك أصبح بالمستطاع تطوير الأعمال القتالية التالية في إطار من التوازن النسبي في القوى العددية مع تفوق هائل في الروح المعنوية لصالح المسلمين ؛ مما كان يضمن توفر فرص ملائمة لتحقيق الانتصارات المتتابعة .

٦) حرمان العدو من موارده الاقتصادية :

فقد أمكن عزل قوات الروم في «فلسطين» بعد معركة اليرموك الحاسمة وفتح «دمشق» . وتحولت قوات الروم إلى « حاميات منعزلة » فقام عمرو بن العاص بتطويق كل حامية بمعزل عن بقية الحاميات وحرمانها من مواردها الحياتية ؛ وإرغامها بالتالي على الاستسلام بعد إخضاعها لضغوط تجعلها أمام موقف لا مخرج منه الا بالقتال اليائس أو الاستسلام ؛ وكان هذا ما يحدث في كثير من الأحيان . وكانت النتيجة مضمونة في جميع الحالات . وتم تطبيق هذه السياسة الاستراتيجية ذاتها عند فتح «مصر» . وكان جيش المسلمين يعتمد في إمداده وتموينه على «التعايش» مع الوسط المحيط به . وكان ذلك يعني ببساطة حرمان العدو من هذه الموارد . وبعد معركة « أم دنين » تطوع «الأقباط» لدعم المسلمين وتقديم الامدادات

والمواد التموينية . مما أدى إلى حرمان «الروم» من هذه الموارد ؛ وأضعف موقفهم الاداري . ولم يبق أمامهم سوى الاعتماد على «المخزون» وهو مهما كان كبيراً ؛ لا بد له من النفاد بعد فترة الحصار الطويلة ؛ على نحو ما حدث « في حصار الاسكندرية » .

٧) الفصل بين الحلفاء :

فقد كان الروم حلفاء الغساسنة في الشام . وكان الروم حلفاء «القبط» في مصر . وكان الروم هم العدو الرئيسي للعرب المسلمين . ولهذا فقد تم العمل لفصل حلفاء الروم باتباع «سياسة مرنة» تتساهل إلى أبعد الحدود مع السكان « المغلوبين على أمرهم» في سوريا ومصر ؛ مع التشدد حتى أبعد الحدود مع قوات الاحتلال «البيزنطية» مما كان يدفع أهل البلاد إلى « فك ارتباطاتهم التاريخية » والانضمام إلى «العرب المسلمين» أو « تحييدهم والابتعاد بهم عن الصراع » مع كسب دعمهم الضمني . وكان ذلك في حد ذاته مكسباً كبيراً للمسلمين ، إذ أنه أدخل الاضطراب في ميزان قوى العدو ؛ وأضعف موقفه .

وقد يكون من الصعب «حصر» جميع أساليب «استراتيجية الهجوم غير المباشر» والتي طبقها القائد العربي المسلم «عمرو بن العاص » . ولم تكن « مطابقته للهدف مع الامكانات المتوفرة » « واختيار الخط الأقل توقعاً » و«استثمار خط المقاومة الأضعف» و « التحرك بمرونة في إطاري العمليات وتعبئة القوات » و « التجديد المستمر في أساليب خوض القتال » هي بعض

الأساليب التي ضمنت «لعمرو بن العاص» تحقيق انتصاراته الرائعة . ولعل اختياره لمحور تحركه عوضاً عن التوجه إلى الاسكندرية مباشرة هو وحده برهان على العمق الاستراتيجي في تفكير عمرو بن العاص إذ أنه لو اختار التحرك على المحور الثاني لمجابهة الروم في «الاسكندرية» بمعركة جبهية مباشرة لكان الفشل من نصيبه يقيناً ، ولوضع قوات المسلمين في «مأزق» قد لا تتمكن من الخروج منه .

٦ ـ استراتيجية « الحرب التشتيتية » :

ترتبط هذه الاستراتيجية في جذورها بالاستراتيجية السابقة « استراتيجية الهجوم غير المباشر » من حيث تأثيرها على مسيرة الأعمال القتالية في مسرح العمليات . فهدف استراتيجيـــة «الحرب التشتيتية» هو وضع قيادة العدو أمام مواقف تجعلها عاجزة عن « اتخاذ القرار المناسب ؛ وتنفيذه في الوقت المناسب » ومن هنا تتركز جهود «الحرب التشتيتية» للتأثير على القيادات أكثر مما تهدف إلى التأثير على القوات ؛ ولو أن النتيجة لا بد لها وأن تنعكس على القوات بصورة مباشرة . وقد كانت استراتيجية « الحرب التشتيتية » هي الطابع المهيمن على تحرك القوات الإسلامية منذ مغادرتها للجزيرة العربية . وقد أدرك «عمرو بن العاص» أهمية هذه الاستراتيجية ؛ فحاول استخدامها وفقاً لظروف القتال . وقد عمل « عمرو بن العاص » عند توجهه إلى «أجنادين» على توجيه مجموعات قتالية إلى «ايلياء» و «الرملة»

بهدف حرمان قوات «الروم» من تنسيق التعاون فيما بينها ؛ وحرمان قيادات هذه القوات من طرح «مبادءات» قد تعيق مسيرة الأعمال القتالية لقوات المسلمين وفقاً لما كان يوجهها « عمرو بن العاص » ثم أعاد «عمرو» تنفيذ مثل هذه الاستراتيجية في « مصر » عندما أرسل مجموعات قتالية إلى « عين شمس » و «الفيوم» و «الأشمونين» و «أخميم» و «البشروات» و «قرى الصعيد» و «تنيس» و «دمياط» . الخ ... ولعل الظاهرة البارزة هي المرونة الكبرى في تطبيق هذه الاستراتيجية ؛ فقد عمل «عمرو» على تطبيقها في المرة الأولى قبل معركة « أجنادين » الحاسمة . وقام بتطبيقها في المرة الثانية بعد معركة « أم دنين » الحاسمة . فكان تطبيقها في المرة الأولى تمهيداً للنصر وكان تطبيقها في الثانية استثماراً للنصر ، وبقي هدفها في الحالين واحداً وهو تحقيق « هدف الحرب » والوصول إلى « غاية السلم » بالجهد الأدنى من القوة العربية الإسلامية . مع وضع قيادات الروم في الحالين في موقع « السلبية المطلقة » .

لقد كان تأثير الحرب التشتيتية مذهلاً بالنسبة لقيـــادات « الروم — البيزنطيين » فقد كانت هذه القوات عاجزة في الواقع عن « إدراك سر القوة الجديدة للعرب المسلمين » وتبع ذلك جهل مطبق في أساليب عمل هذه القوات ؛ وطرائق عملياتهـــا ، وتنظيمها . وقد أفاد « عمرو بن العاص » — كما أفاد بقية قادة المسلمين من هذا القصور في قيادات العدو — فعملوا على تطوير أعمالهم القتالية . وكون القادة لأنفسهم « هالة ضخمة »

واكتسبت قوات المسلمين « هيبة عظمى » ساعدتها على « تشتيت قيادات العدو » وارباكها . وجعلها عاجزة عن اتخاذ أي موقف ؛ (إلا موقف الدفاع وراء التحصينات) وكان هذا الموقف في حد ذاته نصراً كبيراً للعرب المسلمين ؛ إذ ساعدهم على تجزئة معارك الحرب واختيار « نقاط الضعف » المتتالية لاختراق « القوة العظمى » وتفتيتها . ولم يكن وصول خبر توجه «عمرو بن العاص» إلى مصر . وسبق أخبار انتصاراته في فلسطين . سوى إحدى ظواهر الحرب التشتيتية التي أضعفت مقاومات قيادات الروم . وحملتها على توقع نتائج الحرب قبل أن تصل معاركها إلى حدودهم . وقد اتبع «عمرو بن العاص» أساليب « الحرب التشتيتية » في الحرب الأهلية أيضاً ؛ وليس بالامكان في جميع الأحوال فصل الصراع المسلح بين الطرفين المتحاربين من أجل «الحكم» عن الصراع السياسي ، سواء عند رفع المصاحف على الرماح أو حتى التحكيم في «صفين» وقد لا تكون هناك حاجة للبرهان على نجاح «عمرو» في تطبيق استراتيجية «الحرب التشتيتية» حتى في هذا النوع من الحروب الثورية . ويكون « عمرو بن العاص » نتيجة لذلك هو « رائد استراتيجية الحرب التشتيتية » في إطاريها الثوري والنظامي . ويأتي نجاحه بعد ذلك ثمرة من ثمار التطبيق الذكي والماهر لجميع الاستراتيجيات وأبرزها « استراتيجية الحرب التشتيتية » .

٧ ـ استراتيجية « الهجمات الوقائية » :

كثيراً ما يختلط مضمون «استراتيجية الهجمات الوقائية»

بمضمون « الهجمات الاجهاضية المسبقة » وتتزايد صعوبة التمييز بينهما عند وضعهما في إطار « حروب الفتح للعرب المسلمين » إذ يمكن – إلى حد معين ومن وجهة نظر فن الحرب اعتبار فتح الشام والعراق هو « هجوم وقائي » هدفه الأول هو حماية الجزيرة العربية – قاعدة الإسلام – من تدخل الروم والفرس . وقد تدخل هذا المفهوم ذاته في أقوال «عمرو بن العاص» عند طرح مشروعه لفتح «مصر» حتى يضمن حماية الجناح الغربي للأقطار الإسلامية في الجزيرة والشام .

ويمكن متابعة ذلك واعتبار تقدم « عمرو بن العاص » في الصحراء الليبية حتى «طرابلس» و «زويلة» نوعاً من الهجمات الوقائية – لحماية «غرب مصر» . وكذلك الأمر بالنسبة لتوجه « عقبة بن نافع » جنوباً حتى النوبة .

وبدهي أن هذا «التفسير» لا ينقص من « أهمية الهدف من الفتح – أو هدف الحرب » ذلك أن حماية قاعدة الإسلام لم يكن أكثر من وسيلة لحماية المسلمين وضمان الظروف لمتابعة دورهم الحضاري والانساني وكذلك الأمر بالنسبة لهدف الفتح في « الشام والعراق » وهو تعريف الناس « برسالة الإسلام » ويعتبر تفسير عملية الفتح بالهجمات الوقائية هو « الترجمة العملية » للوصول عبر « هدف الحرب » إلى « غاية السلم » أما بالنسبة لهجوم قوات المسلمين من أجل فتح الاسكندرية «الثاني» فيمكن اعتباره « مجرد هجوم مضاد » لا علاقة له

« بالهجمات الاجهاضية المسبقة » رغم توفر جميع الظروف لوضع هذا الهجوم في اطار « الهجمات الاجهاضية المسبقة » فتحرك قوات المسلمين إلى الشمال ؛ ومحاولة « حصر قوات الهجوم البيزنطي » ثم العمل على اتخاذ جميع التدابير — كازالة التحصينات وتدمير الأسوار — هي كلها تدابير وقائية لحرمان العدو من كل فرصة تسمح له بالهجوم في المستقبل. وهنا وفي مجال تطبيق هذا المبدأ يظهر « عمرو بن العاص » متبعاً وليس مبدعاً. ولعل عدم توفر الظروف المناسبة ، والسلبية التي أظهرتها القوات البيزنطية هي التي لم تسمح «لعمرو بن العاص» في تطوير هذا المبدأ. ولكن «عمرو بن العاص» أظهر الابداع في الاتجاه المقبل الذي يمكن أن يطلق عليه « تطبيق استراتيجية الردع » فقد عمل « عمرو بن العاص » على إقامة الحاميات القوية في الاسكندرية ، ودعم أمير المؤمنين عمر هذا الاتجاه عندما نظم إرسال قوات من الجزيرة لدعم « قوات المرابطين في الثغور » والاقامة في الاسكندرية بطريقة متناوبة تضمن «ردع قوات الروم» عن التفكير في الهجوم على الموانىء البحرية. واستثمار التفوق البحري للروم من أجل الاغارة على الثغور الإسلامية. ويكون بذلك «عمرو بن العاص» قد دمج « مفهومي الردع والهجمات الاجهاضية المسبقة » عن طريق اتخاذ الاجراءات المناسبة لتطبيقهما معاً إذا ما تطلب الموقف ذلك ؛ وهذا هو إبداع « عمرو بن العاص » في مجال تطوير «فن الحرب» والعمل باستمرار على التوفيق بين «الهدف» وبين

«الوسائط المتوافرة» مطبقاً بذلك المضمون الحقيقي « للاستراتيجية العليا » . وقد لا تكون هناك حاجة للقول إن « عمرو بن العاص » قد جاء إلى « عالم الفتوح الإسلامية » في بداية هذه الفتوح . فاحتل مركز «الريادة» من حيث السبق الزمني ؛ ولكن هذا السبق لم يكن كافياً ليضعه في مرتبة «الرواد الأوائل للفتح» لو لم يتمكن من تحقيق النجاحات الضخمة في تطبيق أسس « الاستراتيجية العليا » وفي مجال الاستخدام المرن « لمبادىء الحرب » فكان من نتيجة ذلك تحقيق انتصارات خالدة حفظها التاريخ فيما حفظه من آثار لا زالت تنطق بها «مصر» وستبقى انجازات « عمرو » خالدة مع خلود «مصر» ذاتها ، وهو خلود لن تنال منه الأيام رغم كل الحملات المضادة ؛ ورغم الحروب الصليبية التي لم تتوقف منذ الفتوح . ولعل ذلك في حد ذاته هو برهان على نجاح «عمرو» ونجاح «المسلمين» في تطبيق سياستهم — الاستراتيجية بشكل لا نظير له . مما ضمن «لمصر» الصمود والاستمرار رغم كل الجهود المضادة لمجتمعها الإسلامي .

ب ـ في مبادىء الحرب

١ – المبــاغتة :

(سار « عمرو » والسرية معه ، وهم يسيرون في الليل ويكمنون في النهار ؛ حتى اقتربوا من – ذات السلاسل – وبينها وبين المدينة عشرة أيام) (وأراد المسلمون اشعال النار ، اذ كانت ليلة شديدة البرد ، فمنعهم ، وعندما رجع « عمرو » اعتذر إلى الرسول ﷺ ، وأخبره أنه منع المسلمين من اشعال النار خشية أن يراها عدوهم ؛ فيرى قلتهم فيطمع فيهم) وعندما فتح «عمرو» طرابلس، وجه قوة قتالية لفتح «نبارو– أو سبرت» وأمرهم (السير بسرعة ، فصبحت خيله مدينة «سبرت» وقد غفل أهلها وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم ؛ فدخلها المسلمون ، ولم ينج من أهل «سبرت» أحد) . وتلك هي بعض أساليب «عمرو» لتحقيق «المباغتة» . ومن الواضح هنا أن «عمرو» قد اعتمد على «المباغتة الزمنية» فقد كانت قضاعة – في الحالة

الأولى – غافلة عن احتمال هجوم المسلمين عليها ، فقاد «عمرو» قواته ، وباغت القوم قبل أن يعرفوا بوجوده . وفي المرة الثانية كان أهل «سبرت» يعتقدون أن « عمرو » منصرف مع جند المسلمين لفتح «طرابلس» فلما تم له فتحها وجه قوة من الفرسان لتتحرك بسرعة وتسبق أخبار الفتح إلى سبرت وأمكن بذلك تحقيق «المباغتة» وانجاز النصر الحاسم . ومن الواضح أن «عمرو بن العاص» قد طبق مبادىء الحرب الصارمة في أول عمل قيادي تم تكليفه به ؛ ويبرهن ذلك على وجود استعداد فطري لتطبيق « مبادىء الحرب » بصورتها الصحيحة ؛ واقراراً بالحقيقة فقد كانت حياة الانسان العربي في صراع مستمر ، وكانت الغزوات لا تنقطع بين العرب بعضهم ضد بعض . وكانت «الاغارات» هي الأسلوب الطبيعي لحياة «البداوة» . إلا أن الممارسات بقيت محدودة في نطاق «القبيلة» أو « مجموعة القبائل المتحالفة » . وجاء الإسلام فوحد القبائل ، وتعاظمت بذلك قوة العرب ، وزاد حجم القوات المسلحة مما ألقى على عاتق القادة مزيداً من الأعباء . وفرض عليهم تطوير الأساليب القتالية . ويظهر ذلك بصورته الواضحة في توجيه القوة لفتح «سبرت» فقد ضمن «عمرو» توفير جميع الظروف المناسبة لنجاح المباغتة ؛ ذلك أنه اختار القوة من «الفرسان» وطلب اليهم التحرك «بسرعة» وأمرهم بالتحرك «ليلاً» بحيث يصلون إلى (هدفهم) مع أول ضوء من فجر اليوم التالي وبذلك أمكن تحقيق «المباغتة» وقد أفادت قوات المسلمين من «ذهول

المباغتة» لتنفيذ ضربتها الحاسمة بأقل جهد ممكن ، وبأقل خسارة ممكنة . وكان « عمرو » ماهراً في جميع عملياته ؛ وحريصاً باستمرار على تحقيق المباغتة . سواء عن طريق إعادة التنظيم باستمرار ، وبعد كل مرحلة ؛ أو عن طريق المناورات الخداعية والتظاهرات التي تحمل العدو على تقدير قوات المسلمين بأكثر من قوتها العددية الحقيقية . وبذلك أخذت المباغتة أشكالاً مختلفة عند التطبيق ؛ ولم تعد مجرد «مباغتة زمانية» أو «مباغتة مكانية» بل تجاوزت ذلك إلى مستوى «المباغتة في العمليات» . ويعتبر « عمرو بن العاص » في هذا المجال « أستاذاً ورائداً » وقد كان في « مدرسته » عقبة بن نافع الفهري ؛ وعبد الله بن حذافة السهمي وعبد الله بن سعد وسواهم . وتظهر سيرة هؤلاء القادة أنهم مارسوا بعد ذلك ؛ وعندما أسندت اليهم أعمال قيادية مستقلة أدوارهم القيادية بنجاح وأفادوا من كفاءة «عمرو بن العاص» القيادية ؛ واقتبسوا منه كثيراً من المبادىء التي استخدمها وعمل على تطويرها وفي طليعتها مبدأ «المباغتة» . وكان تطبيق هذا المبدأ في كثير من الأحيان هو العامل لتحطيم ميزان القوى وتحويله لصالح العرب المسلمين . وعلاوة على ذلك فقد كان للمباغتة دورها الحاسم في اسقاط الحصون المنيعة (كحصون أجنادين وأم دفين) اذ كان ظهور المسلمين على الأسوار كافياً لانهيار المقاومة ، ولم يكن فتح «طرابلس» سوى نتيجة «للمباغتة» التي اتقن العرب المسلمون استخدامها ؛ وعملوا على تطويرها باستمرار لمجابهة المواقف المختلفة .

٢ ـ أمن العمل :

المقصود بأمن العمل هنا هو (مجموعة التدابير والاجراءات التي اتخذها « عمرو بن العاص» لحماية قواته من جهة، ولضمان الشروط المناسبة التي تساعد على النجاح في تنفيذ الواجب القتالي) ويدخل في مجموعة هذه التدابير أعمال الاستطلاع ـ بما فيها الاستطلاع الشخصي ـ وجمع المعلومات من المصادر المختلفة ؛ واتخاذ تدابير الحيطة الضرورية لحماية القوات من مباغتة العدو . ثم اتخاذ التشكيلات القتالية المناسبة التي تساعد القوات على الاضطلاع بعملياتها . ويمكن في مجال الاستطلاع التذكير بمحاولة « عمرو بن العاص » اقتحام « حصن عدوه أرطبون » والمغامرة بنفسه حتى قام باستطلاع ما يريده . وقد كرر « عمرو بن العاص » هذه المحاولة في «مصر» وكان النجاح حليفه أيضاً . ولم تقتصر أعمال الاستطلاع عند «عمرو بن العاص» على معرفة الأهداف العسكرية ، وانما تجاوزتها لمعرفة جميع الأمور المتعلقة بالعدو بما في ذلك أوضاعه الاقتصادية والسياسية. وكان لذلك دوره الحاسم في الوصول إلى « الغاية السياسية » من الحرب ومعالجتها بصورة صحيحة . وإذا أمكن مراجعة مسيرة الأعمال القتالية « لعمرو » فسيظهر أنه كان يسير إلى « هدفه » دائماً وهو على ثقة تامة ، ولم تكن هذه الثقة سوى نتيجة للمعلومات التي يحصل عليها بوسائطه المتنوعة وأبرزها الاستطلاع (ولم يكن نجاحه الحاسم في نصب كمين عند «عين

شمس» سوى نتيجة لمعرفته الدقيقة بنوايا عدوه وأهدافه) أما في مجال تدابير الحيطة . فيمكن ذكر ما قام به «عمرو» عند توقفه أمام «أم دنين» حيث قام المسلمون « بحفر الخنادق حولهم » وتنظيم أعمال الحراسة . ولعل أفضل برهان على نجاح «عمرو» في اتخاذ « تدابير الحيطة » هو عدم تمكن قوات الروم من مباغتة المسلمين ولو مرة واحدة – وفي «فحل» كان «المسلمون لا يصبحون ولا يمسون إلا على تعبئة » ومن الواضح أن تدابير الحيطة هي التي أحبطت في مرات كثيرة محاولات الغدر بالمسلمين ومباغتتهم . وفي مجال اتخاذ التشكيلات القتالية المناسبة على مسرح العمليات . فان إرسال «عمرو» لمجموعات قتالية لمجابهة «إيلياء» و «الرملة» لم يكن سوى وسيلة لضمان «أمن العمل» عند تنفيذ الواجب الرئيسي وهو تدمير كتلة قوات الروم في أجنادين . كما أن دفع المقدمات ، لم يكن أكثر من وسيلة أيضاً لحماية الكتلة الرئيسية من قوات المسلمين التي كان يقودها «عمرو بن العاص» . وقد لا تكون هناك حاجة للقول إن مبدأ « أمن العمل » هو من أكثر المبادىء أهميـــة وكثيراً ما ضاعت جيوش في القديم والحديث بسبب إهمالها بعض عوامل هذا المبدأ ؛ فوقفت عاجزة عن تنفيذ واجباتها . واذا أمكن تجاوز « تاريخ فن الحرب القديم » دفعة واحدة للوصول إلى « العصر الحديث » فان اجتياح الألمان لحدود الاتحاد السوفييتي بمثل تلك السهولة ، وكذلك « فشل القوات العربية عن الاضطلاع بواجبها في الحرب العربية – الاسرائيلية الثالثة

(٥ حزيران – يونيو – ١٩٦٧) وفشل القوات الاسرائيلية في الحرب التالية (٦ تشرين الأول – أكتوبر – ١٩٧٣) انما يعود في قسم كبير منه لاهمال مبدأ « أمن العمل » . والتحرك «للحرب» بعيون مغمضة ، مقابل وضوح كامل في الرؤيا عند الطرف المقابل .

ولعل اهتمام قادة العرب المسلمين عامة و « عمرو بن العاص » منهم خاصة بتطبيق هذا المبدأ بكل أبعاده انما يبرهن على « التطور الكبير » الذي وصله قادة المسلمين في عالم « فن الحرب » . وهنا تبرز أهمية العقيدة الدينية أيضاً في تكوين مفاهيم « العقيدة القتالية » لتساعد « القادة على ممارسة أدوارهم القيادية . ولم يكن الاصرار المستمر في القرآن الكريم على « الحرص على المسلمين » والحذر « من أعداء المسلمين » سوى التحديد النظري لأسس العمل التي يجب على القائد الالتزام بها لتطبيق مبدأ « أمن العمل » وقد آمن « عمرو بن العاص » واستوعب مبادىء العقيدة الإسلامية بقلبه وعقله . فكان بدهياً أن يساعده ذلك على صقل مواهبه القيادية وتطويرها . فأصبح بذلك جديراً بحمل راية الاسلام القيادية وتحقيق الانتصارات الرائعة تحت ظلها .

٣ – القدرة الحركية :

كانت جيوش المسلمين «جيوش فرسان» يوم كانت « الخيول » و «الابل» هي وسائط «حرب الحركة» وقد

انطلقت هذه الجيوش من «قلب الجزيرة» إلى الشام ؛ فكانت في حالة « حركة دائمة » لتدمير مقاومات الروم القتالية ؛ واستمر الصراع بالنسبة «لعمرو بن العاص» أربعة أعوام تقريباً حتّى أمكن تصفية جميع « جيوب المقاومة » وقاد « عمرو بن العاص » بعد ذلك قواته « عبر سيناء » حتّى وصل «مصر» وهناك خاض مجموعة من الأعمال القتالية « بداية من الفرماء وحتّى حصن بابليون أو أم دنين » وبعد ذلك عمل « عمرو بن العاص » على تطوير القدرة الحركية وذلك بالاستيلاء على «السفن الموجودة» في «جزيرة الروضة» واستخدامها لنقل القوات . ولم يكن اتفاق « عمرو بن العاص » مع القبط على « اصلاح الطرق وإقامة الجسور » سوى وسيلة لتطوير حرب الحركة ، كما أن اختياره للتحرك محور «غرب النيل» حيث الصحراء الواسعة ، وعدم وجود الحواجز الأرضية لم يكن إلا وسيلة أيضاً لضمان استخدام القدرة الحركية لقوات المسلمين على أفضل وجه ؛ وإن اصرار «عمرو بن العاص» على هدم أسوار الاسكندرية لم يكن أكثر من وسيلة لازالة العوائق التي تعترض « حرب الحركة » وتعيق استخدام « القدرة الحركية » . ويمكن الاستمرار في ذلك للبرهان على استخدام « القدرة الحركية» على أفضل وجه ممكن . وتتلخص أساليب « عمرو بن العاص » في مجال حرب الحركة – على مستوى العمليات – بالمبدأين التاليين :

أ – **ازالة جميع العوائق والسدود** والحواجز البرية التي يمكن لها اعاقة « القدرة الحركية » .

ب – **اختيار محاور العمليات** التي تساعد قوات العـرب المسلمين على تطبيق استراتيجيتهم المفضلة ؛ واستخدام قدرتهم الكامنة « في مجال حرب الحركة » . وهكذا فان دور «عمرو بن العاص» في هذا المجال يتركز على (الافادة من القدرة الحركية العالية للمسلمين والعمل على تطويرها) .

ومن المعروف أن القدرة الحركية العالية للقوات الإسلامية كانت تعتمد على مبدأين أساسيين هما : (الاعتماد على «قوة الفرسان» مع التحرر من الأعباء الادارية التي كانت ترهق عاتق الجيوش المضادة للمسلمين) وتبرز كفاءة « عمرو بن العاص » في معرفة ميزات قوات المسلمين واستثمارها إلى أبعد الحدود مع العمل على تطوير هذه الميزات وإعداد الظروف المناسبـــة لاستخدامها . وكانت «المباغتة» و «الحرص على أمن العمل» و «المبادأة واستخدام القوة الهجومية» و «الأقتصاد بالقوى» و « الاهتمام بالشؤون الادارية » وغير ذلك هي من أجل خدمة « القدرة الحركية » وتوفير الشروط المناسبة لاستخدامها على أفضل وجه ممكن . وقد لا تكون هناك حاجة للقول إن القضية في أساسها ليست قضية توفر مجموعة من المميزات للجيوش المقاتلة ؛ أو

وجود بعض «الفضائل الحربية» وانما القضية هي قضية معرفة هذه «المميزات والفضائل» والافادة منها قدر المستطاع ؛ وقد عمل «عمرو بن العاص» على الافادة من «فضائل الجيش الإسلامي الحربية» وعمل بدوره على تطوير تلك «الفضائل». واذا ما أمكن بعد ذلك معرفة أن «حروب المسلمين» كلها كانت نوعاً من «حروب الحركة» التي تعتمد في أساسها على «القدرة الحركية العالية» واذا ما أمكن أيضاً تحديد موقع «عمرو بن العاص» كواحد من «قادة الفتح الأوائل» يمكن تقديم أهمية المنجزات التي حققها في مجال «استثمار القدرة الحركية لقوات المسلمين وتطويرها» بحيث أصبحت تطبيقاته العملية هي المنهل الذي يرجع اليه قادة المسلمين في تطويرهم لأعمالهم القتالية التالية.

وقد يكون من المحال تقويم أهمية هذه المنجزات بصورة عملية ؛ وما كان لها من دور في تحقيق الانتصارات المتتالية. كما أنه من المحال أيضاً مقارنة هذه المنجزات بمنجزات قادة مماثلين في الجيوش الأجنبية أو حتى الجيوش الإسلامية. ولكن تلك المنجزات ترسل — يقيناً — ظلالها المتقدمة لأكثر من اثني عشر قرناً حيث يمكن مطالعة بعض ملامح هذه المنجزات أو كلها في إطار «تطوير القدرة الحركية» للجيوش الحديثة. وذلك بصرف النظر عن «حجم القوى والوسائط» وبصرف النظر أيضاً عن «أنواع وسائط حرب الحركة المتقدمة».

٤ ــ المبادأة واستخدام القوة الهجومية :

تبرز مرة أخرى قضية التكامل في «العقيدة القتاليــة» للمسلمين من خلال استقراء التطبيقات العملية لمبدأ « المبادأة واستخدام القوة الهجومية » إذ أنه من المحال فصل هذا المبدأ عن بقية المبادىء ؛ والنظر اليه بصورة مستقلة ــ مثلاً ــ عن « القدرة الحركية » أو « أمن العمل » . ويتطلب ابراز هذا المبدأ النظر اليه من الزاوية المضادة أي من زاوية « الدفاع والاعتماد على القلاع والتحصينات » ومن المعروف أن المسلمين كانوا يبتعدون تماماً عن « حروب الحصار » واستخدام القلاع والحصون معتمدين في ذلك على ما تضمنه لهم « حروب الحركة » من مميزات لعل أبرزها المحافظة على المبادأة ؛ وحسم الصراع المسلح لصالحهم . وعلاوة على ذلك فقد كانت قوات المسلمين ضعيفة في عددها ضعيفة في تسليحها ؛ فكان من المحال اللجوء إلى الدفاع وتوزيع الحاميات بحيث يتم استنزاف القوة المقاتلة وتشتيتها في الحصون والقلاع . وكان المسلمون يعتمدون على «قدرتهم الحركية » لاجراء الحشد السريع ، وتوجيه الضربات الحاسمة ، ثم التفرق بعد ذلك لمعالجة الأهداف المختلفة ، تماماً كحركة السيل الجارف الذي ينحدر من المرتفعات ليزيل جميع العقبات والسدود عند تجمعه ثم ليتفرق بعد ذلك في المجاري المختلفة حتى اذا ما صادف سداً جديداً تجمع وأزال السد ليتابع مسيرته بعده وهكذا . وعلاوة على ذلك كله ؛ فقد كان من المحال على

المسلمين تحقيق سياستهم الاستراتيجية ؛ وحمل رسالتهم إلى الدنيا دون الانتقال بها وتعريف الناس بها . وكان «عمرو بن العاص» رائداً في هذا المجال ايضاً ، فقد استطاع المحافظة على المبادأة في معاركه كلها ، ولم يترك لأعدائه أبداً فرصة التدخل في مخططات عملياته ، وكان يعمل باستمرار على فرض المواقف القتالية حتى يحرمهم من «حرية العمل» وكان يعمل باستمرار على « استثمار القدرة الحركية الكامنة » وتوجيهها للأعمال الهجومية ؛ ولم يكن توقفه امام بعض التحصينات سوى توقف مرحلي لاعداد الظروف المناسبة من أجل تطوير الأعمال القتالية و « استخدام القوة الهجومية » .

وقد يكون من الصعب معرفة ما اذا كان « عمرو ابن العاص » قد أراد فعلاً انتظار الروم عند هجومهم على الاسكندرية حتى يخرجوا من المدينة وحتى يغادروا المواقع والتحصينات القوية للاصطدام معهم في معركة جبهية يستفيد فيها من « القوة الهجومية » لقواته . ولكن النتيجة واضحة تماماً . فقد استطاع — عن طريق الانتظار حمل الروم على مغادرة الاسكندرية . ولم يصطدم معهم حتى وصلوا «نقيوس» وبذلك أمكن له «استخدام القوة الهجومية» وتحقيق النجاح في تدمير الكتلة الرئيسية لقوات الروم . وتظهر هذه الملامح ذاتها في عدد من معارك «عمرو بن العاص» . ولم يكن «الكمين» في «عين شمس» سوى برهان واضح على افادة «عمرو» من القوة الهجومية لتدمير قوات العدو . كما أن توجيه

القوات لفتح «سبرت» لم يكن إلا استثماراً للقدرة الحركية العالية لقوات المسلمين واستخدامها للهجوم. وكذلك الأمر بالنسبة لقيادة « عمرو بن العاص » للقوات أثناء (الحرب الأهلية) حيث حاول باستمرار الامساك بالمبادأة واستخدام القوة الهجومية بكفاءة. ولما كانت قوات المسلمين المقابلة تتمتع بهذه الخصائص ذاتها فقد كان من الصعب على « عمرو» احراز النصر الحاسم في ميدان القتال ، فلجأ إلى استخدام الوسيلة التبادلية وهي اللجوء إلى « الصراع السياسي » ويظهر هذا المثال وبشكل واضح أن ميزة « المبادأة واستخدام القوة الهجومية » كانت إحدى فضائل الجيوش الإسلامية. وأن كفاءة «عمرو بن العاص» تكمن في قدرة « عمرو بن العاص » على معرفة ميزة « هذه الفضيلة » وتوجيهها بمهارة لتحقيق « هدف الحرب » والوصول إلى « غاية السلم » وكان استخدام «عمرو» للمبادأة واستخدام القوة الهجومية «مقنناً» بدقة في إطار «غاية السلم» مما ساعده على تحقيق « استراتيجية الهجوم غير المباشر » وإقناع خصومه بعدم جدوى مقاومتهم والوصول إلى «أهدافه» بالجهد المناسب الذي يساعد المسلمين على متابعة أعمالهم القتالية وعدم « استنزاف » القدرة الهجومية » بهجمات جبهية عقيمة.

٥ ــ مبدأ الاقتصاد بالقوى :

كانت الأعباء التي فرضها الإسلام على العرب المسلمين تتجاوز كثيراً « قوتهم العددية » ولم يكن باستطاعة العرب

المسلمين حمل « الأمـــانة » إلا إذا أمكن لهم التوفيق بين «الهدف» و « الوسائط المتوافرة لديهم » في جميع معاركهـــم وحروبهم . و «الاقتصاد بالقوى» حتّى تتوفر لهم القدرة على متابعة حمل «الأمانة» . وبذلك لم تكن «فتوح المسلمين» مجرد «معركة حاسمة» أو «حرباً صاعقة» تتقرر بنتيجتها «مسيرة السلم أو الحرب » وانما كانت « حروباً مستمرة » بعضها تأخذ شكل ما يطلق عليه اسم «الصراع المسلح» وبعضها يأخذ ما هو معروف باسم « الصراع السياسي» وكانت الحرب في الحالات جميعها « حرب تدمير وبناء مستمرة » تدمير التكوين القديم للمجتمعات والمفاهيم والقيم وبناء تكوين جديد لهذه المجتمعات وقيمهـــا ومفاهيمها . وكان ذلك كله يتطلب قدرة هائلة لا من أجل خوض المعارك وتحقيق الانتصار في حروب « الجهاد في سبيل الله » وانما أيضاً من أجل إقامة المجتمعات الجديدة . وعلى هذا فقد كان « مبدأ الاقتصاد بالقوى » هو القاسم المشترك بين قادة المسلمين جميعاً بداية من عهد رسول الله ﷺ وحتّى آخر قادة فتوح المسلمين . وكان تطبيق هذا المبدأ عند «عمرو بن العاص» مميزاً وواضحاً بصورة خاصة . فقد استطاع «عمرو» الموازنة دائماً بين مجموعة العوامل التّي تتدخل في المعركة ، وإجراء التعادل بينها وبين العوامل المقابلة التّي تضمن النصر . وكانت خسائر القوات التّي يقودها «عمرو» محدودة باستمرار ؛ ولم ينكب المسلمون تحت قيادته أو تنتكس لهم راية في جميع المعارك التّي خاضوها معه . وقد يكون من الصعب تقويم دور

«عمرو» بمعزل عن مجموعة العوامل التي شاركت في تكوين « شخصيته القيادية » أو معرفة الحوافز التي استخدمها «عمرو» للوصول إلى أهدافه ، ولكن المعلومات المتوفرة عن أسلوب قيادته تبرهن على أنه كان يهتم « بتقدير الموقف » قبل كل شيء ، ثم يعطي الأهداف المتتابعة الأفضلية التي تستحقها ، ويقوم بحشد قواته كلها ، ويقذف بها إلى المعركة بعد إعداد الظروف المناسبة للاشتباك ؛ وكان مكيثاً لا يتسرع في حكمه . ولا يستأثر باتخاذ القرار . وكان ذلك يساعده على تكوين القناعة الكاملة بحتمية النصر . فكانت القوات تتحرك بقيادته وهي مدركة لدورها . وبذلك كان يتم التنفيذ بصورة متكاملة ومنسجمة مما كان يضمن تحقيق « مبدأ الاقتصاد بالقوى ، وليس المقصود هنا بمبدأ « الاقتصاد » هو توفير القوى وعدم استخدامها ؛ بقدر ما يعني زجها كلها أو بعضها بحسب ما يتطلبه الموقف ؛ مع الاحتفاظ دائماً بقوة احتياطية كافية لحسم الصراع المسلح في اللحظة المناسبة . وهذا بدقة ما كان يفعله «عمرو» سواء في حروبه ضد «الروم» أو في معارك الحرب الأهلية . وقد ذكر في معركة صفين (أن «عمرو» كان يرسل الكتائب في أثر الكتائب فكلما تدخلت قوات لدعم انصار علي - رضي الله عنه - زج «عمرو» كتائبه) وعندما توجه «عمرو» إلى مصر واصطدم بقوات « محمد بن أبي بكر » (أرسل اليه الكتيبة بعد الكتيبة) ولعل هذه النماذج وامثالها هي براهين كافية على «تقنين» استخدام القوى ، والحرص على تطبيق

« مبدأ الاقتصاد بالقوى » ومن المحتمل الاختلاف في مضمون الشعار الذي طرحه «عمرو» يوم «صفين» لإيقاف الاقتتال وهو : (من لثغور الشام بعد أهله ؛ ومن لثغور العراق بعد أهله ؟) ولكن الذي لا يمكن الاختلاف بشأنه هو أن النتيجة كانت ايجابية إذا أمكن ايقاف الاقتتال في « الحرب الأهلية » وتحقيق مبدأ (الاقتصاد بالقوى) وتوجيه الجهد كله إلى أعداء المسلمين . وقد كانت حروب « عمرو » كلها ؛ حروب دهاء أو حروب تمارس فيها السياسة الاستراتيجية دورها بالدرجة الأولى حسب التعريف الحديث . ومن الطبيعي والحالة هذه أن يحتل مبدأ « الاقتصاد بالقوى » مكانته في طليعة المبادىء التي حرص « عمرو بن العاص » على تطبيقها في حروبه كلها .

٦ – المحافظة على الهدف :

ما من مبدأ يظهر واضحاً في أعمال «عمرو بن العاص» القيادية مثل مبدأ « المحافظة على الهدف » . ولعل مفاوضات «عمرو» مع «المقوقس» والاتفاقية المعقودة بينهما تبرهن على حرص «عمرو» وعمله الدائم للمحافظة على الهدف . كما أن نص اتفاقية «عمرو» مع « معاوية » والتي تنص على تولي «عمرو» ولاية «مصر» مدى الحياة هي نموذج آخر يبرهن على (محافظة «عمرو» على الهدف) وتثير المقارنة بين نصي الاتفاقيتين مجموعة من النقاط المتعلقة «بالهدف» فقد يكون هذا الهدف بالنسبة « لعمرو بن العاص » شخصياً . وقـــد يكون متعلقاً بالسياسة

الاستراتيجية للفتوح ، أو قد يكون متعلقاً بهدف محدود لا يتجاوز منطقة مسرح الأعمال القتالية . ولعل الظاهرة المذهلة هي محافظة « عمرو بن العاص » على الهدف في الحالات جميعها (بصرف النظر عن طبيعة الهدف) . ويبرهن ذلك على التكامل في طبيعة هذا القائد واندماج حياته الخاصة بحياته العامة . مما كان يدفعه إلى اعتبار الأهداف العامة كأهداف « السياسة الاستراتيجية» وأهداف « معارك الحرب » هي أهداف شخصية ترتبط باسمه وتحمل طابعه . ومن هنا يظهر التلاحم القوي بين شخصية «عمرو بن العاص» وبين أعماله ومنجزاته التي أخذت طابعه الشخصي .

ولعل هذا هو السبب الذي كان يحفز «عمرو» على تحقيق النصر بكل وسيلة ممكنة « فعمرو » القائد الطموح لا يقبل الهزيمة ؛ وهو لذلك يتخذ جميع تدابير الحيطة الضرورية للوصول إلى «الهدف» وتحقيق النجاح . ولقد كان هدف السياسة – الاستراتيجية للعرب المسلمين عندما انطلقوا من جزيرتهم هو إقامة المجتمع الإسلامي . وكان «عمرو» واحداً من القادة الذين حملوا أعباء هذه الأمانة ؛ ولكنه لم يتمكن في جميع الأحوال من التغلب على العامل الشخصي ؛ وقد ظهر ذلك في مرات كثيرة ، سواء في غزوة «ذات السلاسل» حيث أصر «عمرو» على ممارسة دوره القيادي حتى على أولئك الذين كان لهم فضل « السبق في الإسلام » وكان شأنه كذلك عندما ولاه أمير المؤمنين أبو بكر « رضي الله عنه » إمارة أحد جيوش الشام حيث

أظهر «عمرو» تطلعه لقيادة مجموعة الجيوش – بما فيها جيش « أبي عبيدة بن الجراح » – وقد لا تكون هناك حاجة للقول أن القتال في جيوش المسلمين كان شرفاً كبيراً يتسابق اليه المسلمون الأوائل وتكون قيادة مثل هذه الجيوش شرفاً لا يضاهيه شيء . وبذلك اجتمع (التكليف بحمل الأمانة مع التشريف براية الجهاد) ومع إدراك «عمرو» لهذه الحقيقة إلا أنه لم يتمكن من تقديم التشريف على التكليف – أو وضعهما في مرتبة واحدة على الأقل عند عمرو بن العاص – بخلاف بقية القادة من الرواد الأوائل الذين كانوا يطمحون إلى أداء الأمانة والسعي إلى شرف الجهاد والاسراع الى الشهادة . وكانت ثقة « عمرو بن العاص » غير المحدودة بامكاناته . ومعرفته لكفاءته القيادية هي في جملة العوامل التي كانت تحفزه لطلب « شرف القيادة » كوسيلة «لأداء الأمانة» .

وقد يكون الاختلاف كبيراً من حيث المضمون ، وقد يكون التباعد كبيراً بين المنطلقات ، ولكن النتائج كانت يقيناً ايجابية وفي صالح « عمرو بن العاص » . ولم يكن «طغيان دوره الشخصي» على أعماله ومنجزاته ضاراً أو مؤذياً بالنسبة للمحافظة على الهدف أو بالنسبة لتحقيقه ، فقد مضى «عمرو» إلى خالقه ، ومضت دهور وأزمان وهي تتناقل أعمال «عمرو» ومنجزاته . ويأتي جيل بعد جيل وهو يربط مثلاً بين « أجنادين وبين اسم عمرو بن العاص » وبين معركة أم دنين وبين اسم هذا القائد المسلم . وقد يكون هناك ضرر كبير عندما يكون هناك اختلاف

بين «الهدف الشخصي» وبين «الهدف العام» ولكن دمج الهدفين معاً عند «عمرو بن العاص» كان خيراً على المسلمين . إذ استطاع «عمرو» من خلاله ؛ تحقيق هدفه الذي كان هدفاً للمسلمين جميعـــاً .





الفصل الثالث

قيادة عمرو بن العاص

آ ــ عمرو بن العاص وفن القيادة

١ ــ الاهتمام بالشؤون الادارية «اللوجستيك».

٢ ــ العنف في القضاء على أعداء المسلمين .

٣ ــ التحريض والحض على القتال .

٤ ــ الشجاعة في مواجهة مواقف الخطر .

٥ ــ القرارات الصحيحة .

٦ ــ حماية المرؤوسين .

ب ــ عمرو بن العاص وقوات المسلمين

١ ــ الاستعداد الدائم للقتال .

٢ ــ الروح المعنوية العالية .

٣ ــ الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب .

٤ ــ « عمرو » وما يعرف حديثاً بالحرب الشعبية .

٥ ــ « عمرو » وحرية العمل .

٦ ــ الانضباط والطاعة .



آ ـ عمرو بن العاص وفن القيادة

١ ـ الاهتمام بالشؤون الادارية « اللوجستيك » :

كان جيش المسلمين يمضي إلى أهدافه وهو متحرر من الأعباء الادارية ؛ فكان المقاتل لا يحمل من الزاد إلا ما يكفيه لتجاوز مرحلة المسير ؛ وكان هذا الجيش يعتمد في تعايشه على ما توفره البيئة المحيطة من موارد تموينية وغذائية . وقد كان لهذا الأسلوب ميزاته ؛ إذ أن عدم الاعتماد على « المخازن والمستودعات » حرر القوات من أعبائها الادارية ، وضمن لها القدره على المناوره وسرعه الحركة ؛ كما أن التعايش في الوسط المحيط كان من شأنه حرمان العدو من موارده الحياتية والتموينية [١] ولكن ذلك كان يلقى على عاتق القادة أعباء

---

(١) لقد بقيت الجيوش الأوربية تعتمد على «المخازن والمستودعات» حتى أيام « نابليون بونابرت» وكان تحرر جيوش «الثورة» من =

اضافية ؛ ذلك أن أعمال القتال كانت تتطلب تأمين الامدادات المختلفة ، سواء لتغذية آلة الحرب ، مثل تأمين « أدوات اقتحام الأسوار » وأجهزة «اقتحام التحصينات» كالسلالم والمجانيق والأوهاق وغيرها من الأعتدة المختلفة الخفيفة منها والثقيلة ؛ أو من أجل تأمين إمداد القوات باحتياجاتها التموينية « كالأغذية للمقاتلين والعلف للخيول » وتتعاظم هذه الأعباء بالنسبة للقادة عند معرفة أن تأمين هذه المتطلبات يجب أن يكون متوافقاً مع الهدف السياسي الذي يفرض « إقامة علاقات حسنة مع السكان ». وقد ظهرت كفاءة « عمرو بن العاص » في هذا المجال في مواقف كثيرة لعل أبرزها ارساله من يطلب إلى أهل القرى والبلاد البقاء في قراهم وبلادهم بعد أن بلغه أنهم أخذوا في القرار من وجه جيش المسلمين بعد احتلال « بلبيس » ، وقد توجه الرسل إلى أهل القرى وقالوا لهم :

= أعبائها الادارية هو في طليعة العوامل التي ساعدت نابليون على الانقضاض بسرعة على ايطاليا ؛ وتحقيق انتصاراته الحاسمة. وبذلك يكون النظام الإسلامي قد سبق النظام الغربي بأكثر من عشرة قرون في مجال « تأمين المتطلبات الادارية من مسرح العمليات » و « دعم القدرة الحركية للجيوش » . علماً أن الجيوش الأوروبية لم تتمكن من تحقيق التوازن بين تأمين متطلباتها الادارية وبين « إقامة علاقات جيدة مع السكان » لاقامة سلم دائم في حين حقق المسلمون ذلك .

(لا يرحل أحد مِن بلده ونحن نقنع بما توصلونه الينا من الطعام والعلوفة ؛ فأجابوا إلى ذلك) وتضمنت اتفاقية «عمرو» مع «المقوقس» تقديم العون للمسلمين . فقام «القبط» بفتح الأسواق التي واكبت تحرك الجيش ؛ وبذلك اضطلع أهل البلاد بواجب « التأمين الاداري للقوات » علاوة على اضطلاعهم « بواجب التأمين الهندسي » . ومن المعروف أن جيش «عمرو بن العاص» لم يحمل معه من «فلسطين» أدوات العبور «كالسفن» ولا أدوات اقتحام الأسوار « كالسلالم والحبال » ولا أدوات قصف التحصينات « كالمجانيق » وقد اضطر المسلمون إلى تأمين هذه المتطلبات من مسرح الأعمال القتالية ذاته . وكان التأخير في تأمين هذه المتطلبات يؤثر أحياناً على مسيرة الأعمال القتالية . فقد أدى غياب وسائط اقتحام الأسوار إلى حصار « أم دنين » فترة طويلة . كما أدى غياب « المجانيق » الى اطالة أمد حصار الاسكندرية . ولكن هذا التأخير كان أهون في جميع الأحوال من اثقال كاهل القوات بالأعباء الادارية عند تحركها . هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى فان تأمين هذه المتطلبات — حتى لو جاء متأخراً نسبياً في بعض الأحيان — انما هو برهــان على اهتمام « عمرو بن العاص » بالتأمين الاداري لقواته وتلبية متطلباتها في جميع الظروف . وصحيح أن المتطلبات الادارية « لجيش المسلمين » كانت محدودة ومتواضعة ، سواء بالنسبة لأنواعها أو حتى بالنسبة لكمياتها — قياساً على ما كانت تتطلبه الجيوش المقابلة — كجيش الروم

الذي كان يزيد في «مصر» على عشرة أضعاف حجم جيش المسلمين . ولكن قضية « اهتمام عمرو بن العاص بالشؤون الادارية » تتجـــاوز قضايا « النوع أو الكمية » لتصل إلى قضية المبدأ ذاته . وهو إقامة التوازن بين تأمين متطلبات القوات ادارياً ؛ وبين أسلوب العمل لاقامة مجتمع ما بعد الحرب ، وبذلك يحتل «عمرو» المركز المرموق في التوفيق بين مختلف العوامل التي تحقق النصر النهائي .

٢ ــ العنف في القضاء على أعداء المسلمين :

(كانت هناك قرية اسمها « خربة » أهلها رهبان كلهم ؛ فغدروا بقوم من مؤخرة جيش «عمرو» ــ ساقته ــ فقتلوهم بعد أن بلغ «عمرو» الكريون ــ عند فتح الاسكندرية الثاني ــ فأقام «عمرو» ووجه اليهم مولاه ــ وردان ــ فقتلهم وخربها ، فهي خراب إلى اليوم ويعرف موقعها باسم « خراب خربة وردان ») (وعندما فتح المسلمون الاسكندرية ــ الفتح الثاني ــ أمعن « عمرو بن العاص » في قتل الروم داخل الاسكندرية ، ثم كلموه في ذلك . فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً ؛ وهو المسجد الذي يقال له مسجد الرحمة في الاسكندرية) .

قد تظهر مثل هذه النماذج من الأعمال وهي متناقضة مع ما هو معروف عن حروب «عمرو بن العاص» من أنها (حروب هينة ، ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب) . ولكن

تحليل الأعمال القتالية للقائد المسلم « عمرو بن العاص » يظهر بوضوح أنه كان يحاول الوصول إلى «غاية السلم» بصورة «غير مباشرة» ولكن ، ومقابل ذلك ، فقد كان «عمرو» صلباً عندما يقرر خوض القتال ، ويحرص على « حسم القتال في المعركة » بتصفية قوات العدو وإبادتها إبادة كاملة — على نحو ما فعله في «بلبيس» وفي عدد من المواقع الأخرى . وتزداد قسوة «عمرو» وصلابته عندما يتعرض المسلمون «للغدر» فقد كان «عقابه» في مثل هذه الحالات صارماً حتى يردع الأعداء عن التفكير بالغدر . وحتى يحفظ للمسلمين «هيبتهم» ويضمن « أمنهم وسلامتهم » وليس من الغريب بعد ذلك أن يكون «العقاب» مطابقاً «للعمل» فالغدر أصلاً يتنافى مع « شريعة الحرب عند العرب المسلمين » وهو يلحق الضرر الكبير بمخططات «الحرب» أو « بمخططات إقامة المجتمع الإسلامي » وبصورة خاصة في مرحلة البناء . ومن هنا يظهر أنه ما من تناقض أو تعارض بين قيادة «عمرو» المرنة والمتساهلة في حدود «الهدف» وبين أساليبه « الصلبة والقاسية » عند مخالفة مراكز القوى المعادية لشروط «الصلح» أو غدر هذه المراكز — بعضها وليس كلها — بالمسلمين . ولكن رغم ذلك يظهر واضحاً أن توجيه الضربة القوية والحاسمة لمراكز الغدر — كانت مقننة بدقة وإحكام — ولا تتجاوز حدود « منطقة الغدر » كما أن توقيع «القصاص» كان فورياً ودون أي تأخير ؛ فرغم انصراف قوات المسلمين لحرب صعبة في الاسكندرية . فان «عمرو» لم ينتظر انتهاء

الحرب حتى « يؤدب خربة » وانما أرسل « وردان » مباشرة لازالة القرية المتمردة الغادرة وابادة الغادرين ؛ بحيث لا يترك في ذلك مجالاً لتفاقم الشر أو تعاظم الخطر ؛ وبشكل يأتي تنفيذ «العقاب» في إطار الحرب وتنفيذ الأعمال القتالية ؛ و «عمرو» حتى في مثل هذه الظروف يترك مجالاً «للرحمة» . فعندما يأتيه من يطلب «الرحمة» يستجيب لها ذلك أنه لا ينطلق من منطلق الحقد ؛ وإنما ينطلق من منطلق البناء ومعطيات الخير في البناء لا بد لها وأن تتغلب على معطيات الشر الذي يأتي من طرف «أعداء المسلمين» — بعضهم وليس كلهم —. وكان هذا العنف المقنن هو الذي ساعد «عمرو» على تكوين « عتبة من الردع النفسي » التي ضمنت بناء المجتمع الجديد في مناخ من الاستقرار والهدوء . ويكون استخدام العنف « مجرد وسيلة » وليس غاية في حد ذاته ... وهو وسيلة خاضعة دائماً لمتطلبات « البناء السلمي » وهذا ما كان يفرض استخدامها بمهارة كبيرة وكفاءة عالية ، ولم يكن «عمرو» يفتقر إلى مثل تلك المهارة أو الكفاءة . فجاء النجاح رائعاً في استخدام «الوسيلة » .

لقد كان « عمرو بن العاص » ليناً ، سهلاً . وكان في الوقت ذاته « عضاً » قاسياً . ومن هذا التناقض في الطبيعة كان يتحقق التوافق الكامل في معالجة المواقف المتناقضة ، فكان « سهلاً إذا ما سوهل وعسيراً اذا ما عوسر » . وتزول كل ظاهرة للتناقض عند وضع هذة « المتناقضات ظاهرياً » في إطار « غاية السلم » و « هدف الحرب » .

٣ - التحريض والحض على القتال :

يشكل « التحريض والحض على القتال » قسماً من العقيدة القتالية الإسلامية . وهو يهدف إلى إبراز أهمية المعركة التي يتم خوضها ؛ وواجب القوات فيها ؛ وتوزيع الواجبات على المقاتلين ؛ ومعالجة المواقف المحتملة ؛ مع إثارة الحماسة والتذكير بما فرضه الاسلام للمجاهدين من « ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » وبذلك كان التحريض ذو هدف مزدوج هو إقناع المقاتل «عقلياً» وإثارة حماسته «عاطفياً» . وقد سار القادة جميعهم على سنة رسول الله ﷺ في تنفيذ « تقاليد الحرب » كقراءة « سورة الجهاد » قبل المعركة والقاء كلمة من القائد للتحريض والحض على القتال ، مع توجيه الخطباء والشعراء لاثارة الحماسة . ولكن من المؤسف أن ما حفظه التاريخ عن « عمرو بن العاص » في هذا المجال هو قليل جداً ولا يساعد على تكوين فكرة واضحة عن الأسلوب الذي كان يتبعه لتنفيذ « تقاليد حرب المسلمين » . ولكن مسيرة الأعمال القتالية تبرهن على أن « عمرو » كان يقود قواته إلى القتال ، وينتقل بها من معركة إلى معركة ؛ دون أن يظهر ولو سؤال واحد على لسان المقاتلين لمعرفة « هدف الحرب » أو « مخطط المعركة » . ويظهر أن أوامر القتال التي كان يصدرها «عمرو» كانت على درجة كافية من الوضوح بحيث أنها لا تترك مجالاً للغموض أو الالتباس ؛ على نحو ما فعله عندما وزع قوات الكمين في

«هليوبوليس» أو عندما أرسل قواته لفتح « نبارة — آو — سبرت » . ومن المحتمل أن يكون « عمرو بن العاص » قد دمج مضمون « التحريض والحض على القتال » بتعليمات القتال . بحسب ما تظهره «أوامر القتال» التي حفظها التاريخ . ولكن من الواضح تماماً ؛ أنه كان «لعمرو» ايضاً أساليبه الخاصة في « التحريض على القتال » وكانت هذه الأساليب تعتمد على « إغناء العقل » و «الاقناع» أكثر مما تعتمد على إثارة العاطفة . وقد يكون السبب في ذلك هو قناعة «عمرو» ذاته بأن لدى قواته (رصيداً من الايمان ، وقدراً من الحماسة ؛ ما يزيد على مضمون الكلمات الحماسية مهما بلغت هذه الكلمات من القوة والبلاغة . وكان التذكير بآيات قصيرة . أو الاشارة إلى نص معين كافياً لتحقيق هذا الهدف مثل قول « الزبير بن العوام » عند فتح بابليون : « اني أهب نفسي لله — أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ») لاسيما وأن أعمال « عمرو بن العاص » في فتح مصر قد جاءت بعد فتوح الشام . وشعر المسلمون أن لديهم قدرات كامنة تكفي لتحقيق أهدافهم كلها . وكان الرصيد المعنوي ضخماً ولم يعد في حاجة للمزيد . كما اكتسب المقاتلون خبرة طويلة من خلال العمل الدائم طوال سنوات عديدة في تشكيل مقاتل واحد وبقيادة واحدة . وبذلك أصبح باستطاعة «عمرو» طرح الفكرة الأساسية للعملية وترك تنفيذها للمقاتلين الذين أصبحوا على معرفة بطرائق تفكير قائدهم وأساليبه بمجرد الاشارة اليها ودون الحاجة لذكر تفاصيلها أو دقائقها . فاذا ما

أمكن تجاوز هذه الظاهرة للوصول إلى أسلوب «التحريض والحض على القتال» في الحرب الأهلية. فسيظهر أن «عمرو» قد حقق نجاحاً رائعاً باستخدامه هذا الأسلوب ـ أسلوب الاقناع العقلي ـ إذ أن الحرب هنا بين قوات المسلمين بعضها مع بعض ؛ ومن المحال في هذه المواقف إثارة مضمون الجهاد في سبيل الله ؛ فجاء أسلوب الاقناع العقلي بالهدف السياسي بديلاً عن أسلوب إثارة الحماسة الانفعالية. ولا ريب أن الأسلوب الذي طبقه «عمرو» قد اعتمد على عاملين : الأول هو العمل الدؤوب والمستمر لترسيخ القناعات « بعدالة الحرب » والثاني هو تنفيذ أعمال القتال على قاعدة « الثقة الشخصية » بحيث (أن قادة « عمرو » ومرؤوسيه لم يكونوا يسألونه عما يريد أو ما يفعل في حين كان أنصار علي رضي الله عنه يسألونه ويناقشونه) وبذلك يكون «عمرو» قد استوعب المضمون الحقيقي لمفهوم « التحريض على القتال والحض عليه » وعمل على تطويره مستفيداً في ذلك من مجموعة الخبرات التي اكتسبها خلال ممارسته لأعماله القيادية. ويكون «عمرو» بذلك قد تقدم أشواطاً بعيدة في تطوير « أوامر القتال » بحسب مفهومها الحديث.

٤ ـ الشجاعة في مواجهة الخطر :

(اشتد القتال على المسلمين ـ عند فتح الاسكندرية الثانية ـ فقام « عمرو بن العاص » بالناس ؛ وصلى صلاة الخوف)

ويمكن التساؤل : هل كان خوف «عمرو» هو نتيجة لمجابهة خطر غير متوقع ؛ أم أنه خوف من «الفشل»؟

من الواضح جداً أن «عمرو» كان يمتلك قدراً كبيراً من الشجاعة لمجابهة جميع أخطار القتال — ما كان منها متوقعاً أو غير متوقع — فقد عرف الحرب ؛ وعايشها طويلاً ؛ واقتحم أهوالها ؛ وصبر في المواقف التي تهلع لها قلوب الرجال ؛ وليس ذلك فحسب به انه كثيراً ما قذف بنفسه إلى قلب موقع الخطر ؛ وليس هناك من ينكر أن ذهاب «عمرو» إلى معقل «أرطبون» هو « اقتحام الخطر ذاته » وكذلك عندما كرر هذه العملية « في مصر » وقد جابه «عمرو» أيضاً « مواقف الخطر» أثناء « الحرب الأهلية » . ولم يذكر أحد أن « عمرو » قد عرف الخوف ؛ أو اهتز عند مجابهة الخطر ؛ ولكن «عمرو» يخاف الفشل ؛ ويخشى الهزيمة ؛ ذلك أن مثل هذا الخطر لن ينال شخصه بقدر ما ينال قوات المسلمين التي تعمل تحت قيادته . و « عمرو بن العاص » قائد عربي مسلم ؛ وهو يعرف أن « النصر من عند الله » وأنه « لا غالب إلا الله » وهو يجابه الخوف بالتوجه إلى الله الناصر الذي يلقي « بسكينته في قلوب المؤمنين » ويؤيدهم بالنصر . وتصبح بذلك (صورة الخوف واضحة تماماً عند القائد عمرو بن العاص) . والخوف بعد ذلك صفة طبيعية في الانسان تقابلها صفة الشجاعة وطبيعة الخوف أيضاً مختلفة . فهناك الخوف من الظلمة ، والخوف من المجهول أو الأمر غير المتوقع ؛ والخوف من الفراغ الخ ... ولكن هذه

المواقف تتناقص بحسب «الخبرة» وتتراجع «عتبة الخوف» عند معرفة النتائج الناجمة عن الخطر . وكانت النهاية العظمى للنتائج في عقيدة المسلمين هي « الشهادة في سبيل الله » وبذلك تكون « عتبة الخوف » عند الانسان المؤمن هي خارج حدود القدرة البشرية ؛ ومرتبطة « بقضاء الله وقدره » . ومع القضاء على « عامل الخوف » يظهر « عامل الشجاعة » كأول فضيلة يتحلّى بها المقاتلون المسلمون . وقد كان من المحال على «عمرو بن العاص » قيادة جيش من هذا النوع ؛ لو لم يكن يمتلك قدراً من الشجاعة يزيد على ما هو متوافر لدى بقية المقاتلين المسلمين . لاسيما وانهم كانوا يتباهون «بالشجاعة» بقدر ما كانوا ينفرون من صفات « الجبن والخوف » حتّى أصبحت هذه الصفات عاراً كافياً لابعاد المقاتل عن ميدان الجهاد . وكان في أبعاد «الجبان» عن مسرح القتال « تدبير وقائي » حتّى لا تشيع روح « الضعف أو التخاذل » في جيوش المسلمين – قليلة العدد – والتي تعتمد على « فضيلة الشجاعة » كعامل أساسي للتغلب على النقص العددي . وهكذا فان « نوعية المقاتل » هي الأساس الذي أكسب الجيوش الإسلامية فضائلها الحربية ؛ وتأتي الشجاعة في مواجهة الخطر في طليعة تلك « الفضائل كلها » . هذا ومما تجدر الاشارة اليه أن جيش «عمرو» قد ضم من المقاتلين ومن القادة ممن عرفوا بشجاعتهم في مواجهة الخطر أمثال عقبة بن نافع وعبد الله بن سعد وخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومسلمة بن مخلد وعبادة بن الصامت

وأضرابهم ممن يصعب حصرهم . فكان من الطبيعي أن تشيع « روح الشجاعة » وأن تبرز صفة «الاقدام» لتشمل كل مقاتل — حتى من كان به ضعفاً — أو من بقيت في أعماق نفسه بعض رواسب «الخوف» . وبذلك توفرت جميع الشروط الضرورية لتوفر فضيلة (الشجاعة في مواجهة الخطر) وأبرزها (الايمان المطلق بعدالة القضية التي يجاهد المسلمون في سبيلها ؛ فيقاتلون ويقتلون ؛ والثقة المطلقة بين المسلمين بعضهم ببعض وتضامنهم غير المحدود ؛ حتى ليفدي كل مسلم صاحبه ؛ ثم ثقتهم بقيادتهم التي كان يقف « عمرو بن العاص » في موقع القمة منها) وبمثل هذا الايمان وبمثل هذه الثقة ، لم يعد للمقاتلين في جيش المسلمين ما يخافونه ؛ وظهر الجيش كقطيع من الأسود يقوده أسد في شجاعته وإقدامه . فأصبح هذا الجيش كثيراً في نظر أعدائه وهو قليل ، وأصبح جيش الأعداء قليلاً وهو في عدده كبير . وأصبح النصر حليفاً « لعمرو بن العاص » وجيشه في فتح « فلسطين ومصر » .

٥ — القرارات الصحيحة :

« القرار هو القائد ؛ والقائد هو القرار » معادلة متكافئة لا يمكن تقويم أحد طرفيها دون الطرف الآخر ؛ فلا وجود للقرار دون قائد ، ولا معنى لوجود القائد إن لم يتخذ القرار ؛ وليس ذلك فحسب وانما الاشراف على تنفيذه والمشاركة في هذا التنفيذ اذا كان ذلك بالمستطاع . وتأتي بعد ذلك النتائج لتبرز أهمية

تلك القرارات « وقيمتها » فبقدر ما تكون النتائج ناجحة وايجابية بقدر ما تكون القرارات صحيحة ، وبقدر ما تكون النتائج فاشلة وسلبية بقدر ما تكون القرارات خاطئة . وتتحدد بذلك المعطيات التي يمكن لها تقويم « القائد » من خلال « قراراته الصحيحة » . وقد يكون من الصعب عند التعرض « لسيرة عمرو بن العاص القيادية » انتقاء موقف محدد للبرهان على «قراراته الصحيحة» . إذا كانت أعماله القيادية جميعها ناجحة ، وكان النصر حليفاً له في معاركه كلها . وكانت نتائج أعماله ثابتة ومتوافقة مع الهدف الذي كان يعمل لتحقيقه . فكان بذلك نموذجاً « للقائد المحظوظ » الذي يتخذ قراراته الصحيحة دائماً في الوقت المناسب ، ويعمل على تنفيذها بدقة كاملة حتى تأتي مطابقة « للجهد المبذول » من جهة ، ومتوافقة مع « غاية السلم » و «هدف الحرب» من جهة أخرى . وهل كان « فتح مصر » أكثر من «قرار» اتخذه «عمرو بن العاص» ؟ ثم هل كانت موقعة «أجنادين» قبل ذلك سوى قرار اتخذه « عمرو» وقام بالاشراف على تنفيذه ؟ وقصة التحكيم « وحقن دماء المسلمين » هل تتجاوز حدود القرار الصحيح ؟ ورأي «عمرو» قبل ذلك بضرورة اجتماع المسلمين في اليرموك هل كان أكثر من قرار مسبق تم اتخاذه وأجمع عليه قادة المسلمين ؟ فاذا أمكن تجاوز ذلك الى محيط العمليات ظهرت أمور مذهلة تبرهن كلها على طريقة «عمرو» في اتخاذه لقراراته . إذ كان يعتمد في قراراته على ما هو معروف حديثاً من أسس اتخاذ القرارات . بداية من

الاستطلاع وجمع المعلومات ومروراً بتقدير الموقف وحساب ميزان القوى ووضع جميع العوامل الضرورية لاتخاذ القرار مثل الطبيعة الجغرافية والأهمية الاستراتيجية للموقع والطبيعة البشرية الخ ... إلى أن ينتهي باتخاذ القرار . وكثيراً ما كانت هذه العمليات تتطلب بعض الوقت ؛ فكان أسلوب «عمر» هو عدم إخضاع قراراته للعامل الزمني وإنما تسخير هذا العامل لمصلحة قراره ؛ وذلك عن طريق استخدام عامل الزمن استخداماً جيداً . والقيام بجميع الأعمال الممكنة في حدود هذا العامل إلى أن تنضج اللحظة المناسبة للتنفيذ ، فيصدر القرار الذي يظهر أحياناً بصورة متكاملة وفورية مع أن الاعداد له قد تطلب وقتاً طويلاً . ويظهر ذلك بصورة خاصة عند عقد اجتماع بقيادة «معاوية» لمناقشة الموقف . فأعطى «عمرو» قراره بالتوجه فوراً لفتح «مصر» بالقوة . وخالفه «معاوية» على أمل أن يتم الفتح وإعادة السيطرة دون استخدام القوة المسلحة ؛ ولكن ذلك لم يتحقق . فرجع «معاوية» لرأي «عمرو» ووجهه على رأس قوة « لحرب محمد بن أبي بكر » وانتزاع «مصر» من قبضته . وقد كان باستطاعة «عمرو» الالحاح على « بيت المقدس » وتشديد الحصار عليها حتى يتم له فتحها . ولكنه عرف أن ذلك قد يكلفه جهداً لا ضرورة له . وهو قد يصل إلى نتيجة أسوأ من تلك التي يمكن الوصول اليها عن طريق الصلح ؛ فأرسل إلى الخليفة عمر يعلمه بحقيقة الموقف ويقترح عليه الحضور لعقد الصلح مع أهل « بيت المقدس » وكان هذا السلوك هو أفضل

نموذج يصور طريقة «عمرو بن العاص» في اتخاذ قراراته ، كما أنه أفضل نموذج للبرهـــان على هدف المسلمين من الحرب «وهو إقامة المجتمع الجديد » بصرف النظر عن الوسيلة المتوفرة ان كانت سلماً أو حرباً . ان ذلك لا يعني بداهة عـــدم ارتكاب عمرو لأي خطأ في قراراته ولكن مثل تلك الأخطاء في تقدير الأمور كانت تقع في الموقع الهامشي أو الجانبي بحيث أنها لم تكن تحمل أي خطر يتهدد مسيرة الأعمال القتالية ؛ أو تؤثر على عملية بناء مجتمع المسلمين .

٦ ــ حماية المرؤوسين :

ما من « حدث » كبيراً كان أو صغيراً يمكن له أن يحمل مضموناً وحيداً ، وما من عبارة إلا ويمكن الاختلاف في تفسير ظاهرها وباطنها . وعلى هذا فقد كان اقتحام «عمرو بن العاص» لمواطن الخطر في مرات كثيرة ؛ هو عمل يحمل في مضمونه «حماية المرؤوسين» كما أن منع المسلمين من مطاردة خصومهم في غزوة « ذات السلاسل » هو عمل يتضمن «حماية المرؤوسين» وعدم توريطهم في مواقف غير معروفة النتائج . وكذلك منعه للمسلمين من إيقاد النيران في ليالي البرد ــ أثناء غزوة « ذات السلاسل » أيضاً . ومثل ذلك يوم وقف على أسوار « بابليون» ومنع المسلمين من التدافع لصعود السلم . ولكن كل هذه الشواهد التي تحمل ظاهرة الحماية المباشرة للمرؤوسين أقل أهمية من تلك الأعمال غير المبـــاشرة والتي تضمن « حماية

المرؤوسين» فتأمين القوات ادارياً ؛ وتحقيق مبدأ «أمن العمل» و « اتخاذ القرارات الصحيحة » كل ذلك مما يؤمن « حماية المرؤوسين » بصورة عامة وشاملة . وقد يكون الحرص على النجاح ؛ واعداد الظروف المناسبة لزج القوات في طليعة الأعمال التي تؤمن « حماية المرؤوسين » وهي تتجاوز في أهميتها ظواهر الحماية المباشرة . ومهما كان عليه الموقف ؛ فقد ظهر من استعراض الأعمال القيادية للقائد «عمرو بن العاص» أنه كان شديد الحرص على « حماية مرؤوسيه » في جميع الظروف ؛ سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وقد يكون التزام «عمرو» بهذا المبدأ هو في طليعة الأسباب التي ضمنت «لعمرو» ولاء المقاتلين التابعين له ومبادلته الثقة بثقة مقابلة وبصورة غير محدودة ــ حتى كانوا لا يسألونه ماذا يريد أو ماذا يفعل ــ . ويمثل مفهوم « حماية المرؤوسين » في واقعه أبرز مفاهيم « فن القيادة » وهو فن لا يعتمد على التعليم بقدر ما يعتمد على «الموهبة الفطرية » أو « الكاريسما القيادية » [1] وقد كان «عمرو» موهوباً ؛ ثم جاءت الممارسة العملية لقيادة القوات في السلم

---

(١) الكاريسما القيادية ـ كلمة يونانية أصبحت شائعة الاستخدام في العصر الحديث في مجالات القيادة والأدب والاجتماع ويقصد منها الصفات الفطرية التي تؤهل الفرد لممارسة دور قيادي ، وتظهر أعماله في نظر أتباعه على أنها خارقة للطبيعية ، فيعطونها صفة « القدرة الالهية » ويعتبر هتلر وموسوليني ــ ممن تتوفر لديهم « الكاريسما القيادية » .

والحرب فطورت موهبته وساعدته على إقامة علاقاته مع مرؤوسيه وفق أسس ثابتة يشكل مفهوم « حماية المرؤوسين قاعدة لها . ويظهر هنا دور العقيدة الدينية الإسلامية ؛ ودور العقيدة القتالية التي حددت طبيعة تلك العلاقات ، فحملت القائد مسؤولية « حماية مرؤوسيه » والحرص عليهم . كما فرضت على المرؤوسين واجب الطاعة المطلقة — في حدود طاعة الخالق — وبمفهوم أكثر تحديداً ؛ في حدود تنفيذ الواجب . وقد يكون من الصعب تصور قدرة القائد على تحقيق النجاح في ممارسة أعمال القيادة إن لم يكن هناك حرص من القائد على حماية مرؤوسيه وضمان جميع الظروف الممكنة لتنفيذ الواجب ويختلف الموقف بين الأخذ بهذه المعطيات كوسيلة لتحقيق النجاح — ذات صفة مرحلية — مما لا يترك لتلك العلاقات صفة القوة والثبات ؛ وبين الأخذ بها على أساس أنها قسم من العقيدة الدينية والعقيدة القتالية ، بحيث تبقى تلك العلاقات ثابتة وقوية . وقد كانت علاقة «عمرو» بمرؤوسيه ثابتة وراسخة بحسب ما برهنت عليه مسيرة الأحداث التالية ؛ مما لا يترك مجالاً للشك في أن أسلوب «عمرو» وطريقته لحماية مرؤوسيه لم تكن مجرد « كاريسما قيادية » ولا استجابة لمجابهة ظروف طارئة . وانما هي تلاحم مجموعة من العوامل تشكل العقيدة الدينية قاعدة لها ، وتشكل الموهبة الفطرية عاملاً قوياً فيها ، وتشكل «الحاجة» أو « مجموعة الظروف المحيطة بعمل قوات المسلمين » عاملاً ثالثاً أدى إلى « المشاركة في الخطر » وتحمل أعباء الجهاد مما

فرض على القائد «عمرو» بالتالي مزيداً من الأعباء للقيام بواجبه والعمل على حماية مرؤوسيه بكل ما يستطيعه . وكانت طبيعة حياة المقاتلين المسلمين ؛ ببساطتها وتماثلها — حتى كأن القائد واحد من المقاتلين لا يتميز عنهم بشيء — عاملاً أساسياً في فهم ما يتعرض له المقاتلون من «معاناة» . وإظهار ما يجب على القائد عمله « لحماية مرؤوسيه » .



ب ـ عمرو بن العاص وقوات المسلمين

١ ـ الاستعداد الدائم للقتال :

أ ـ استطلع « خارجة بن حذافة » حصن بابليون (أم دنين» الذي حاصره المسلمون طويلاً ؛ ولم يتمكنوا من اقتحامه ؛ وكان «الزبير بن العوام» قد أعد السلالم لاقتحام الحصن ، وعندما اشتد الحصار قال الزبير « اني أهب نفسي لله ؛ أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » ووضع سلماً إلى جانب الحصن ـ من ناحية سوق الحمام ـ ثم صعد . وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً ؛ فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف . وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم «عمرو» خوفاً من أن ينكسر ؛ واقتحم «الزبير» وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه .

ب خرج رجل من « بني مدلج » ذات يوم من عسكر

«عمرو» متصيداً في سبعة نفر ، فمضوا غربي المدينة حتى ابتعدوا عن العسكر ؛ ثم رجعوا فأصابهم الحر ؛ فأخذوا على ضفة البحر . وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتها . فنظر المدلجي وأصحابه ، فاذا البحر قد غاضَ من ناحية المدينة ؛ ووجدوا مسلكاً اليها من الموضع الذي غاض فيه البحر ؛ فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ؛ وكبروا ؛ فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ؛ وأبصر «عمرو» وأصحابُه الله أكبر في جوف المدينة ؛ فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم واقتحم «عمرو» المدينة بعد أن حاصر «طرابلس» شهراً ولم يتمكن من اقتحامهـــا .

صورتان فقط من مجموعة صور لا نهاية لها تعبر كلها عن موقف قوات العرب المسلمين واستعدادها الدائم للقتال . وقد خرجت هذه القوات من جزيرتها وهي تحمل أمانة نشر الإسلام، وهي لم تخرج وراء غنم تسعى اليه « وكل قد وهب نفسه لله وهو يرجو أن يفتح الله على المسلمين » وكل كان يعرف أن « أداء الأمانة » ليس مجرد مسيرة سهلة ، وانما هو « جهاد » و « تضحية» و « احتمال لكره القتال » ولعل مسيرة «عمرو بن العاص» هي في حد ذاتها برهان على الحالة النفسية ، والحالة الجسدية التي كان عليها العرب المسلمون واستعدادهم الدائم للقتال . وقد تطلب « فتح فلسطين » خوض معارك متصلة لم تكد تصل إلى نهايتها بعد أربعة أعوام ونيف حتى قاد «عمرو»

هذا الجيش « جيش فلسطين » عبر الصحراء التي ابتلعت « أصحاب موسى عليه السلام » واحتمل المسلمون مناخ الصحراء ؛ وجهد المسير ؛ حتى وصلوا إلى «مصر» ليبدأوا من جديد « حروب الجهاد » . ولم يكن فتح مصر «سهلاً» بالنسبة لحجم القوات القليلة ؛ فقد كان على كل «مسلم» خوض الحرب مع الاستعداد الدائم لها باستمرار . وقد تضعف الحالة النفسية للانسان بعد مرحلة من « الجهد البدني » و « الضغط النفسي » إلا أن «قوة الإيمان» كانت أعظم من كل ضعف ؛ وأقوى من كل تخاذل ؛ فتجاوز المسلمون « عتبة الضعف الإنساني » وتغلبوا على « كل النتائج التي تسببها الحروب المستمرة » فوصلت قواتهم إلى حدود «تونس حالياً» وهي مسيرة شاقة — حتى لو لم تتخللها حروب — وحتى لو لم تعترضها عقبات أو صعاب . وكان على قوات المسلمين بعد ذلك البقاء في حالة استعداد دائم للقتال لمجابهة احتمال قيام « الروم » بغزو الثغور على نحو ما حدث في الاسكندرية بعد ذلك . وقد لا تكون هناك حاجة للقول بعد ذلك . أن ما تم انجازه خلال عشر سنوات تقريباً منذ غادر العرب جزيرتهم وحتى أمكن لهم الانتهاء من فتح «مصر» . هو عمل لا يمكن إنجازه إلا بما يشبه المعجزة ، لاسيما مع ما هو معروف من ضعف قوة المسلمين العددية . وليس من الغريب بعد ذلك أن تتميز جيوش المجاهدين في سبيل الله ، بخصائص ومميزات ما عرف تاريخ فن الحرب لها مثيلاً . وقد يكون شرفاً كبيراً «لعمرو بن العاص» القائد المسلم

أن يقود جيشاً من هذا النوع . فيضم إمكاناته إلى ميزات هذا الجيش ، ويحقق انتصارات خالدة أبد الدهر .

٢ – الروح المعنوية العالية :

(كنت أرعى غنماً لأهلي بالقواصر – يوم – نزل «عمرو» ومن معه ؛ فدنوت إلى أقرب منازلهم ؛ فاذا بنفر من القبط كنت قريباً منهم ؛ فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم ؛ يقدمون على جموع الروم وانما هم في قلة من الناس . فأجابه رجل آخر منهم فقال : – ان هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه – انتصروا – حتى يقتلوا خيرهم)[1] .

وكتب « عمرو » إلى أمير المؤمنين « عمر » يستمده فأرسل اليه قوة من ٤ ألاف رجل على كل ألف منهم رجل .

---

(١) فتوح مصر والمغرب – ابن الحكم – ص ٨٥ . والمتحدث بهذا القول قبطي أسلم هو «كريب بن أبرهة » والقواصر : بلدة قديمة من أعمال مركز « التل الكبير » . ومكانها الآن القصاصين . وقد جاء في معجم البلدان أنها موضع بين « الفرما وحصن بابليون » وتذكر المصادر التاريخية أن « بحيرة المنزلة » كانت قد طغت على ما حولها بعد استيلاء « عمرو بن العاص » على « الفرما» وأصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ومسالكه صعبة فلزم «عمرو» طريق الصحراء نحو الجنوب حتى وصل إلى « وادي الطمبلات » قرب « التل الكبير » .

وأرسل اليه رسالة يقول فيها (إني أمددتك بأربعة آلاف رجل ؛ على كل ألف منهم رجل مقام الألف ... وان معك اثني عشر ألفاً ، ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة) .

لم يكن « عمرو بن العاص » يجهل قواعـــد الحساب — وهو الذي مارس التجارة — وعلى هذا فانه كان قادراً — بعملية حساب بسيطة — أن يعرف بأن ميزان القوى في غير صالحه بمعدل واحد إلى عشرة فيما إذا جابه قوات الروم وحدها ؛ وأن هذا الميزان قد يرتفع ليبلغ واحد إلى ١٥ ، أو واحد إلى عشرين فيما اذا تعاون «القبط» و «الروم» ضده . وكان هذا الاحتمال — قوي في بدايته وقبل أن تتم له تجزئة الحرب إلى مجموعة من المعارك المستقلة . كما أن قوات المسلمين لم تكن تجهل وهي تتحرك من « العريش » أن أمامها « مفازة » دونها الأهوال والمصاعب غير المحدودة أقلها السير الطويل عبر الصحراء ، وقلة المؤونة ، وفقدان المواد الحياتية في مناطق جرداء مقفرة . ورغم ذلك ؛ لم يتوفر ولو برهان واحد ، يشير إلى أن هذه القوات قد أظهرت أي تردد أو حتى مجرد تساؤل عن «المصير الذي قد تتعرض له» أو « القوات التي ستجابهها » . ولقد كانت هناك مجموعة من المميزات التي تستفيد منها قوات العدو ، مثل معرفتها لطبيعة مسرح العمليات من الناحية الجغرافية ، ومثل اعتمادهـــا على مخزون ضخم من الموارد الحياتية ، ومثل تفوقها بالوسائط التي يمكن إضافتها إلى تفوقها العددي بالاضافة إلى أنها كانت تخوض حرباً دفاعية في أرضها ومنطقة عملياتها .

وكان أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » يعرف هذه الصعوبات كلها مما دفعه إلى التردد « في توجيه الحملة لفتح مصر » ولكن أمير المؤمنين أيضاً كان يعرف الميزة الكبرى التي تنفرد بها قوات المسلمين ، فقد أرسل «دعماً» لا يزيد على أربعة آلاف « على رأس كل ألف قائد يعادل ألف » . فما هو التقدير الذي وضعه « ابن الخطاب » حتى يعادل « الرجل » بألف مقاتل من مقاتلي العدو ؟ وما هي القوة التي اعتمدها «عمرو» حتى يخرج بثمانية آلاف مقاتل ليجابه جيشاً أقله مائة ألف وأكثره مائتي ألف ؟ . ثم ما هي القوة التي دفعت «قوات المسلمين» لتجاهل كل المصاعب والأخطار ، وحملتها على الاقدام دون تردد ؛ لاحتمال كره القتال ؟ ...

لقد كان « العامل المشترك » الذي عرف فيه الجميع قوتهم ؛ بداية من أمير المؤمنين وحتى آخر مقاتل في جيش المسلمين هو عامل «الايمان» الذي تمت ترجمته فيما بعد باسم «الروح المعنوية » . ولعل قوات المسلمين هي أول قوات عرفت أهمية هذا العامل وعرفت دوره في « حسم الصراع المسلح » لصالحها مهما كانت عدة قوات العدو ؛ ومهما كان حجمها ؛ أو درجة استعدادها القتالي ؛ أو الظروف التي تقاتل فيها . وبذلك سبق المسلمون « قادة الجيوش » بأكثر من عشرة قرون في تقويم « أهمية عامل الايمان — أو — الروح المعنوية » وقد أطلق العلماء والخبراء منذ القرن الثامن عشر على هذا العامل « اسم الروح المعنوية » وحاولوا بعد ذلك تحديد قيمته ؛ وعندما أعجزتهم

الحيلة حددوا قيمته بالقوة «س» ولكن «أمير المؤمنين عمر» حدد قيمته «بألف» . فهو قد ذكر لقائده « عمرو بن العاص » أنه أرسل له دعماً على رأس رجال قوة كل واحد «بألف» وبذلك لم تعد قوة جيش «عمرو» بعد الدعم « ١٢ ألف مقاتل فقط» . وانما أصبح يعادل « ١٢ ألف ألف » أو ١٢ مليون . ومن الطبيعي « ألا يهزم جيش له مثل هذه القوة » وقد أدرك «المقوقس» قوة هذا الجيش عندما قال : (والذي يحلف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ؛ وما يقوى على قتال هؤلاء أحد) .

لقد خرج الجيش من جزيرته وهو يحمل على عاتقه «أمانة» تنوء بحملها الجبال ؛ إنها أمانة « حمل رسالة الاسلام » إلى «الدنيا» وتعريف الناس « كل الناس بها » . وكان كل فرد ؛ وكل مقاتل ؛ قد خرج في جيش المسلمين وهو يهدف الحصول على إحدى الحسنيين (النصر أو الشهادة) والشهادة قبل النصر ؛ ويظهر ذلك واضحاً في قول « الزبير بن العوام » : (أيها الناس ؛ اني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين) ووضع سلماً لاقتحام « حصن بابليون » فتدافع الناس ــ وكلهم وهبوا أنفسهم لله ؛ وكلهم يريدون أن يفتح الله الحصن للمسلمين ؛ وكلهم يريد السبق إلى «الشهادة» حتى يظفر المسلمون ؛ وليس من المهم بالنسبة للمسلم أن يشهد «الظفر» وانما المهم أن يشهده «المسلمون» . ففي ظفرهم «جميعاً» خلود الأفراد الشهداء في جنة عرضها السموات والأرض . وضمن هذا

المفهوم يذوب الفرد ؛ وينصهر الأفراد ؛ في كتلة «المجموعة المجاهدة» . وقد يكون بالمستطاع الحاق نسبة من نصر المسلمين في مصر إلى « تفتت الروح المعنويـة للقبط » أو « لضعف ارادة القتال عند الروم » بعد انتصار المسلمين في الشام والعراق ؛ أو لكفاءة «عمرو بن العاص » القيادية مقابل ضعف المستوى القيادي لقادة الروم ولكن ذلك كله لا ينتقص من « أهمية الايمان » ودوره في تحقيق النصر . وقد كان هذا العامل في «جوهره» هو «العامل الحاسم» الذي ساعد المسلمين على تحقيق انتصاراتهم في «اليرموك» و «القادسية» ثم جاء النصر في «بابليون» تأكيداً لتلك الانتصارات وتثبيتاً لمضمونها .

لقد عرف عالم « فن الحرب » ظروفاً كثيرة ، انتصرت فيها جيوش قليلة على جيوش متفوقة في عددها أو عدتها سواء كان ذلك قبل « فتوح المسلمين » أو بعدها . ولكن جيشاً في الدنيا لم يعرف النصر باستمرار وفي حروب متتالية ومستمرة باعتماده على « الايمان » أو « العامل المعنوي » كجيش المجاهدين في سبيل الله . كما أن قوة هذا العامل « وتأثيره » لم تصل في جيش من الجيوش – قديمها وحديثها – إلى مثل ما كانت عليه قوة هذا العامل في جيوش المسلمين . وبذلك أمكن لهذه الجيوش ؛ احتمال « كره القتال » وتجاوز كل عوامل الضعف المادي سواء في حجم قوات العدو ؛ أو في « تسليحها » أو في مجموع ظروفها القتالية .

٣ ـ الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب :

أقول لها إذا جشأت وجاشت
رويدك تحمدي أو تستريحي .

قاله عبد الله بن «عمرو» أثناء قتال الروم في «الكريون» وقد أصابته جراح كثيرة . فاحتمل جراحه ، وقاتل بصبر وعناد حتى تم له النصر . وعندما بلغ «عمرو» ما قاله عبد الله ، قال : أجل ! انه والله ابني . كان ذلك « وعمرو بن العاص » شيخ يقترب في عمره من الستين عاماً ، وهو يمتطي صهوة جواده ويسير بقوات المسلمين من معركة إلى معركة ؛ ومن بلد إلى بلد ؛ تحت ظروف قاسية ، في حر الصيف وقر الشتاء ؛ في الليل والنهار ؛ صراع مع الطبيعة ؛ وصراع مع العدو ؛ ولم تكن قوات الجيش كلها من عنصر «الشباب» وانما فيهم شيوخ حملوا فوق ما يحملونه أعباء السنين ؛ ورغم ذلك كله فقد أظهروا كفاءة عالية ؛ لم يرهقهم التعب ؛ ولم تضعفهم العقبات والصعاب . ذلك أن «الأمانة» التي كانوا يحملونها جميعاً هي أثقل من كل المصاعب ؛ وفوق كل المشاق . ومن المعروف عن الانسان العربي صلابته وقسوته وقوة بنيته حتى يستطيع احتمال مشاق الحياة الصعبة في الجزيرة ؛ ولكن حدود تلك الصلابة بقيت مرتبطة بطبيعة الحياة ، في حين جاءت مصاعب التنقل المستمر ومشاق الصراع المتواصل لتتجاوز حدود الكفاءة الطبيعية . وأصبح لزاماً على قوات المسلمين أن تتسلح بحوافز

إضافية يمكن لها تحقيق التعادل مع الظروف الجديدة . فكان عمق الايمان هو الحافز الثابت والقوي الذي دفع المسلمين لتجاوز كل ما هو متوقع من حدود الطاقة البشرية . وقد يكون من السهل تصور تلك الصعوبات لمن يجلس في مقعد وثير ويطالع « قصة الحرب » أو يقرأ في جملة قصيرة « أن القوات عبرت الصحراء ووصلت إلى مصر » ولكن مبيت ليلة أو بضع ليال في تلك الصحراء ومعاناة يوم أو بضعة أيام تحت حرّ شمسها كاف لمعرفة ما تحملته قوات المسلمين في مسيرها فقط . فاذا ما أضيف إلى ذلك ما تتركه ظروف الحرب من توتر نفسي ، وجهد جسمي في ظروف غير طبيعية أمكن معرفة تلك القوة الهائلة التي كان يمتلكها جيش العرب المسلمين وأمكن تقويم « الجهد المبذول » في سبيل الوصول إلى «الهدف» . ولقد عرف تاريخ الحرب في القديم والحديث جيوشاً دقت بسنابك خيولها مناطق كثيرة من العالم . فقد استطاع «الاسكندر المقدوني» قيادة جيشه حتى وصل به إلى مصر . ثم توجه به نحو الشرق حتى وصل إلى قلب دولة «الفرس» . وجاء التتار «المغول» بعد ذلك من أواسط آسيا ، فاجتاحوا القارة الآسيوية حتى وصلوا إلى«حطين» . ولكن هذه القوات كانت متفوقة في عددها ، أو متعادلة مع أعدائها في وسائطها . ولكن قوات المسلمين كانت « ضعيفة في عددها » بشكل مذهل ، وضعيفة في وسائطها ؛ وكان من الطبيعي والوضع كذلك أن تقع أعباء المشاق كلها ، في الحل والترحال ، في التوقف والمسير ، في

الحرب والسلم على عاتق هذا العدد القليل مما كان يضيف أعباء اضافية لا قبل للانسان العادي باحتمالها . فاذا ما أضيف إلى ذلك العامل الزمني الذي يبرهن على استمرار الأعمال القتالية واتصالها ؛ أمكن تصور ما كان عليه جيش الفتح من « كفاءة بدنية عالية ومن قدرة على تحمل الصعاب » .

وقد لا يكون هناك ثمة مبالغة إذا ما قيل بأن قدرة المقاتل المسلم كانت فوق قدرة احتمال البشر ؛ أو القول أن جيش المسلمين كان متميزاً بقدرة على تحمل الصعاب لم يبلغها جيش من جيوش العالم في القديم أو الحديث .

وقد حاول بعض العسكريين في العصر الحديث إضفاء صفة الكفاءة البدنية العالية على المقاتل الأوربي الذي خاض غمار الحرب في مختلف مسارح العالم ، في آسيا وأوربا ؛ في المناطق الصحراوية والمناطق الباردة ؛ في السهول والغابات والجبال ؛ ولكن قد لا تكون هناك حاجة للقول بأن التقنيات الحديثة والوسائط التي وضعت في خدمة هذا المقاتل ، قد ضمنت له حداً أدنى من الرفاه ومن تأمين المتطلبات الحياتية ما كان حلماً في الماضي . و يبقى جيش العرب المسلمين نموذجاً فريداً ورائعاً في عالم الجيوش ، لم تعرف الدنيا له مثيلاً أو نظيراً في كفاءته البدنية العالية وفي قدرته على تحمل الصعاب .

٤ — «عمرو» وما يعرف حديثاً بالحرب الشعبية :

فرض الإسلام « الجهاد » على كل مسلم ؛ واضطلع

الرسول الأعظم ﷺ بأعباء تطبيق هذا «الفرض» فاشترك في غزواته كل قادر على حمل السلاح ، وضمت جيوش فتح الشام والعراق النساء والأولاد . وقام أمراء المؤمنين بتطبيق هذا «الفرض» . ولم يكن من واجب قادة الجيش الاضطلاع بفرض الجهاد إلا في حدود أوامر أمير المؤمنين ــ المسؤول عن تطبيق مبادىء الإسلام ــ وعلى هذا فلم يكن من واجب «عمرو» الدعوة للجهاد إلا عندما يطلب إليه أمير المؤمنين ؛ ويظهر أن «عمرو» كان أكثر استعداداً لتطبيق هذا المبدأ ؛ إذ ما كاد أمير المؤمنين « أبا بكر » يطلب اليه السير بمن معه من قضاعة وسواهم (حتى أسرع لاستنفار المسلمين وقيادتهم فكان أول من وصل إلى المدينة) وعندما تحدث «عمرو» إلى أمير المؤمنين «عمر» يستأذنه في فتح مصر قال له : « **إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم** » وقد لا تكون هناك حاجة لتفسير هذه الجملة إذ أنها تعبر بوضوح عن هدف «عمرو» من الفتح وهو إضافة قوة مقاتلة من المسلمين تحمل معهم أعباء الأمانة ويتأكد ذلك من نص اتفاقية « عمرو مع المقوقس » والتي كان أول شرط فيها الدخول في الإسلام « **فان دخلتم في الإسلام ، كنتم اخواننا ؛ وكان لكم مالنا وعليكم ما علينا** » وكان أول واجب يضطلع به المسلمون في تلك المرحلة ــ العبادات ــ والجهاد في سبيل الله ــ وبذلك يظهر واضحاً مدى التزام «عمرو» بتطبيق مبدأ الجهاد على أوسع نطاق . وإذا كان الإسلام هو الذي فرض «الجهاد» ولا فضل «لعمرو» أو سواه

في وضع هذا « التشريع الإلهي » فان « عمرو وسواه » قد اضطلعوا « بشرف تنفيذه » فكان لهم فضل سبق قادة جيوش العالم كلها بتطبيق مبدأ « الحرب الشعبية » وفق مضمونها وشكلها الحديثين . ولكن القضية بالنسبة «لعمرو» خاصة هي ليست قضية تطبيق مبدأ « بروح من السلبية » تفقد المبدأ ذاته كل أهمية له ؛ بقدر ما كان تطبيقاً ايجابياً . تطبيق القائد المؤمن المسلم ؛ الذي يدرك بعمق إيمانه أهمية ما هو مقدم عليه ؛ وعلى هذا فقد حرص «عمرو» منذ البداية على « التآلف » مع «القبط» ليتخذ منهم «حلفاء وأعواناً» في البداية . مع تجنب الصراع معهم حتى لا تنشأ بين الطرفين جراحات عميقة تعيقه في المستقبل عن الاضطلاع بتنفيذ « واجب الجهاد » وضمن هذا الإطار ذاته — أو ضمن هذه السياسة — الاستراتيجية ذاتها — سارت عملية بناء المجتمع الجديد ، فأمكن بذلك اكتساب الثقة المتبادلة . وأقبل المصريون على الإسلام . وشاركوا المسلمين أعباءهم ؛ وحملوا معهم «أمانة الجهاد» . فأصبحت مصر فعلاً (قوة للمسلمين وعوناً لهم) ولعل هذا النموذج هو أفضل مثال يمكن الأخذ به للبرهان على « صدق المسلمين وإخلاصهم » بحيث لم تكن هناك فجوة أو ثغرة بين (النظرية وبين الممارسة العملية أو التطبيق) فقد وضع «عمرو» النظرية قبل الفتح ثم طبقها بدقة بعد الفتح ، وقاد أعماله كلها وفقاً للهدف النظري فكان نجاحه رائعاً عند التطبيق العملي . وقد كان من المحال على «عمرو» تطبيق «النظرية» لو لم يعرف المصريون في المسلمين

جميعهم « الصدق والالتزام والوفاء وبقية الفضائل » التي كونت الأرضية المناسبة للتفاعل بين هؤلاء الذين حملوا معهم رسالتهم وأولئك الذين تقبلوا حمل الرسالة مع كل ما تفرضه من أعباء يأتي «واجب الجهاد» طليعة لها .

وتظهر عبقرية القائد العربي « عمرو بن العاص » في الوصول إلى مثل هذه النتائج بأكثر مما تظهر في الوسائل التي اتبعها ؛ أو في الأساليب التي طبقها ؛ ويتوافق ذلك مع طبيعة هذا القائد الذي يعمل أكثر مما يتكلم ؛ والذي يستعين على قضاء حوائجه بالصمت والكتمان والعمل الدؤوب . فلا غرابة إن جاءت نتائج أعماله بصورة ضخمة وواضحة تشهد بكفاءة هذا القائد الذي كان نسيجاً وحده وقد حقق في حياته كثيراً من الأعمال الرائعة ، وترك للعرب المسلمين أمجاداً خالدة في طليعتها تحويل «مصر» وجعلها (قوة للمسلمين وعوناً لهم) عن طريق حشد قدراتها للجهاد أو (ما يعرف حديثاً بالحرب الشعبية) .

٥ ــ « عمرو » وحرية العمل :

لم يكن طموح « عمرو بن العاص » لممارسة القيادة العليا إلا تعبيراً عن رغبته في الحصول على « حرية العمل السياسي وحرية العمل العسكري » وقد كان الحصول على مثل هذه الحرية في «فلسطين» محدوداً بسبب اقتراب الاقليم جغرافياً واداريا من قاعدة العرب المسلمين ــ في الجزيرة العربية ــ وقد يكون هذا العامل في طليعة الأسباب التي دفعت «عمرو»

ليلتمس من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الاذن « بفتح مصر » . ووافق أمير المؤمنين على ذلك ، وضمن القائد «عمرو» بذلك ممارسة أعماله القيادية في اطار من «حرية العمل» . وقد لا تكون هناك حاجة للقول انه كان من المحال أن تكون هذه الحرية مطلقة في عهد أمير المؤمنين «عمر» الذي عرف بمركزيته القوية مما دفع «عمرو بن العاص» إلى الرجوع في كل عمل من أعماله إلى أمير المؤمنين . فاستأذنه في فتح «الاسكندرية» فأذن له ، وتوغل في أفريقيا غرباً حتى وصل إلى «طرابلس» وعندما استأذنه في متابعة الفتوح غرباً طلب اليه التوقف . ولم يعد باستطاعة «عمرو» التوجه إلى «الغرب» .

وفي الشؤون الادارية ؛ وفي اقامة المجتمع الإسلامي . كان « عمرو » مقيداً بتعاليم الإسلام ؛ ومقيداً أيضاً بتعليمات أمير المؤمنين وأوامره ، وكانت تلك هي القيود التي تحدد له « حرية العمل » ولكن تلك القيود لم تكن قيوداً بقدر ما كانت حدوداً للتحرك في إطارها . وقد أفاد « عمرو » من هامش حرية العمل المتروك له . ليمارس دوره القيادي بشكل ناجح . ولكن من الواضح أن «عمرو» كان يطمح لمزيد من حرية العمل ، ولكن قوة شخصية أمير المؤمنين «عمر» وصلابته لم تترك المجال لأي تجاوز ؛ وعندما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه إمارة المؤمنين ، حاول «عمرو» تجاوز الحدود ؛ مما دفع أمير المؤمنين «عثمان» على مخاطبته بقوله : « والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك » فقال عمرو : « قد كنت عاملاً لعمر

بن الخطاب ففارقني وهو عني راض » فقال عثمان : « أنا والله لو أخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ؛ ولكني لنت عليك فاجترأت علي » .

وكان هذا التجاوز سبباً في عزله . وتطرح قضية «حرية العمل» عند «عمرو بن العاص» مشكلة أساسية هي مشكلة إدارة الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون . فقد حدد الإسلام القواعد العامة للمجتمع الإسلامي ؛ وترك مجال «الاجتهاد» مفتوحاً أمام ولاة المسلمين لادارة الأمور والتصرف فيها ؛ وذلك وفقاً لما تقتضيه الأوضاع الخاصة لكل إقليم . وقد أدرك «عمرو» خطورة الموقف الخاص «لمصر» ودورها بالنسبة للمستقبل فحرص منذ البداية على إقامة « المجتمع الإسلامي » برفق ، ويسر وترك لأهل البلاد حرية الادارة ؛ ولم يحدث تغييرات جذرية بصورة مباغتة . فكانت عملية « هدم القديم وإقامة الجديد » تسير بمرونة ودقة . مما ساعد على تحقيق الاستقرار ؛ ولكن ظهرت خلال هذه العملية تناقضات في التوفيق بين متطلبات السلم ومتطلبات الحرب ، وهي التناقضات التي عبر عنها «عمرو» وهو يهاجم عبد الله بن سعد بأنه أفسد عليه جباية الخراج فيجيبه عبد الله بأنه « أفسد عليه مكيدة الحرب » [(١)] وتعبر هذه التناقضات في واقعها عن رغبة «عمرو» بالاستئثار بادارة الحرب وإدارة الخراج وجبايته . وهي رغبة يمكن التعبير عنها بالطموح

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٥٠ .

إلى « مزيد من حرية العمل » . ومهما كان عليه الموقف . فقد برهن «عمرو» عندما تولى «مصر» للمرة الثانية . أن «حرية العمل» التي يطلبها لم تكن ذات نتائج سلبية على عملية اقامة المجتمع الإسلامي . فقد استطاع اكتساب ثقة أهل مصر . وضمن الاستقرار ، وقضى على أعمال التمرد . ومهد السبيل لمتابعة فتوح افريقية . وشكل من مصر قاعدة صلبة يمكن اعتمادها — اقتصادياً وعسكرياً . فانطلقت من أرضها الطيبة الفتوحات التي أضاءت لها الدنيا حتى الأطلسي غرباً وحتى حدود بلاد الغال «فرنسا» . وقد تكون « حرية العمل » خطرة بالنسبة لقائد ضعيف الايمان أو محدود الامكانات ، ولكنها كانت بالنسبة « لعمرو بن العاص » ضرورة أساسية ساعدت على تحقيق « هدف الحرب » و « غاية السلام » على السواء .

٦ — الانضباط والطاعة :

أول فضيلة ميزت جيوش العرب المسلمين هي « فضيلة الانضباط والطاعة » فقد خضع المقاتلون جميعاً لأعباء الهدف الكبير الذي حملوا شرف الجهاد من أجله ، والذي ما خرجوا ليقاتلوا إلا في سبيله . وكان خضوع الجميع للهدف كافياً لتوحيدهم . ولم يبق على القائد إلا أن يحدد لقواته الأهداف المتتالية حتى يندفعوا لتنفيذها . وعلاوة على ذلك فقد فرض الإسلام « أسس الانضباط » وحدد المسؤوليات المشتركة بين القائد وقواته . فجاء « مضمون الانضباط » عميقاً ومرتبطاً

بجذور « العقيدة الدينية » وأدى ذلك إلى « وحدة القيادة » .
ولم يكن مضمون الانضباط الإسلامي على قسوته – صارماً أو متصلباً – بقدر ما كان مرناً يستجيب للدواعي الانسانية ويتوافق مع الطبيعة البشرية ؛ ولعل أفضل من يمثل مفهوم الانضباط بمرونته وإنسانيته هو القائد « عمرو بن العاص » . فقد كان يخضع للقائد القوي « مثل أمير المؤمنين عمر » وهو يحاول اكتساب مزيد من «حرية العمل» و «تطبيق مفهوم الانضباط بمرونة أكبر» اذا ما أمكنه ذلك على نحو ما حاوله في عهد «أمير المؤمنين عثمان» ولكنه لا يتجاوز في جميع الأحوال حدود مفهوم « الانضباط والطاعة » فلم يحاول «التمرد» على أمير المؤمنين «عثمان» إذ عزله ، ولكنه لا يتردد عن مصارحته برأيه . كما أنه لم يتردد في العمل ضده لاضعاف موقفه على أمل أن يحاول أمير المؤمنين الرجوع عن قراره ، وإعادة تعيينه ؛ ولكنه عندما يدرك أن أمير المؤمنين قد أصبح في خطر ، يربأ بنفسه أن يكون فيمن « ينغمس في الفتنة » أو يتجاوز حدود « الانضباط والطاعة » بمفهومها الديني ، فيغادر المدينة ويتوجه الى فلسطين . وهو بعد ذلك نموذج للانسان في حوافزه ونوازعه ، فهو في حيرة بين العمل « لدنياه أو آخرته » واذ يجد أنه من الصعب التقرير إلى أي معسكر ينحاز « يختار دنياه » بحسب أقواله . ولكنه حتى في هذه الحالة لا ينسى آخرته . ويحاول قدر المستطاع التوفيق بين أمور الحياة الدنيا وما يفرضه عليه العمل لآخرته . ويظهر من ذلك كله أن مفهوم الانضباط عند

«عمرو بن العاص» هو مفهوم خاص ينطبع بطابعه الشخصي ـ تماماً مثلما كانت عليه بقية أعماله القيادية ـ .. وهو إذ يعمل في حدود هذا المفهوم لا يطالب مرؤوسيه إلا بمثل ما يطالب به نفسه . (ويظهر ذلك في موقفه يوم أرسل إلى «معاوية بن حديج السكوني» يطلب إليه ارسال « محمد بن أبي بكر» وعدم قتله ، وعندما خالفه «معاوية» فقتل «محمد بن أبي بكر» لم يحاسبه «عمرو» على مخالفته ، وعرف أن « روح الثأر » ومصرع كثير من أقرباء معاوية على أيدي «محمد» لا بد لها وأن تترك رواسب يصعب عليه تجاوزها) ولهذا لم يتشدد «عمرو» في مخالفة «معاوية» لتعليماته وعدم الانصياع لها . ويظهر ذلك (انسجام «عمرو» مع طبيعته ؛ وفهم الأمور من خلال قيمه الخاصة) فهو انسان عقلاني ، يزن الأمور بميزان العقل والمنطق ، ويجتهد في تفسير الأمور . ولعل موقفه من الإسلام كافياً لإيضاح جميع أعماله ، فهو لم يقبل على الإسلام حتى آمن ؛ وحتى وغل الايمان في قلبه ؛ وعندما آمن اندفع إلى الإسلام بكل قوته ، وسار في مجال العمل للاسلام بكل حماسته. وهو كذلك في فهمه للانضباط والطاعة ؛ فهو يستسلم لمضمون « الانضباط والطاعة » وليس لشكله . ولكنه يناقش في شكل الانضباط وطريقة تنفيذه وهو يطبق المضمون وفقاً لما يفرضه « الواجب » أو بحسب مفهومه « للهدف » .

لم يكن « عمرو » ثائراً متمرداً ، يرفض الطاعة والجماعة ؛ ولا كان متحرراً من « مضمون الانضباط »

بل كان انساناً مؤمناً ، وقائداً انساناً . يضع انسانيته في موقعها ويناقش بعقله أمورها ويتحرك في حياته العامة والخاصة بحسب تقويمه للأمور ؛ وبحسب اجتهاده وقناعاته . وهو ينظر في الحالات جميعها إلى النتائج بأكثر مما ينظر إلى الأساليب والطرائق ؛ فهو والحالة هذه « مكيافيللي » بحسب المفهوم الحديث ؛ ولكن ضمن حدود مضمون « الانضباط والطاعة » في جميع الأحوال .

وبعد قد يكون الانسان مع « عمرو بن العاص » وقد يكون ضده ؛ قد يوافقه في مفاهيمه وأساليبه وقد يخالفه ، ولكنه لا يستطيع في جميع الحالات إلا أن يكون به معجباً ، ولأعماله مقدراً ، ولمنجزاته خاشعاً . فقد أعطى الإسلام والمسلمين كثيراً ، وشيد للعرب أمجاداً وصروحاً تشهد بها «أجنادين» والفسطاط ، وكل شبر في فلسطين ومصر . وهو قد أعطى « فن الحرب » إرثاً خالداً . فكان نموذجاً مميزاً في عالم القيادة . ووضع أسس فن الحرب وطبق مبادىء القتال بشكل رائع وعمل على تطويرها من خلال اجتهاده . وتختلف أهمية مبادىء الحرب عند كل قائد من قادة العرب المسلمين بحسب مجموعة العوامل التي هيمنت على أعمالهم القتالية . ولعل أبرز المرتكزات التي استند اليها «عمرو بن العاص» هي : الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ، وبناء المجتمع الجديد ووضوح الهدف واستراتيجية الحرب التشتيتية وحرب الحركة . والاهتمام بالشؤون الادارية ويبرهن ذلك على أنه كان أكثر تركيزاً

على « السياسة الاسترّاتيجية – أو – الاسترّاتيجية العليا » ولكن دون اهمال لبقية مبادىء الحرب وإنما مع الأخذ بها وفقاً لما تتطلبه الظروف والمواقف . ويظهر ذلك أن «عمرو» كان قائداً استرّاتيجياً بالدرجة الأولى ؛ وهو متفوق في هذا المجال وآثاره جميعها تشهد على ذلك . وقد يكون من الصعب مقارنة قائد باخر ، وتزداد الصعوبة بالنسبة للقائد عمرو بن العاص فهو عالم وحده ، بايمانه وتقواه ؛ بفهمه للأمور وإدراكه لها ؛ بتقديره للمواقف وباجتهاده فيها ؛ فهو مزيج متكامل – وغير متنافر – من الصفات والخصائص فيه ايمان عمر وأبي عبيدة ، وفيه دهاء معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة. وفيه اقدام خالد وجرأته وشجاعته ، ولعل أكثر ما كان يتمثل به « عمرو ابن العاص » قوله تعالى : « ربنا آتِنَا في الدُنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَارْ » [1] . فهو في جميع الحالات مميز بصفاته يتشابه مع الآخرين ولا يشبههم ، ويتماثل مع الآخرين ولا يماثلهم ؛ وترك للدنيا إرثاً خالداً يميزه عمن سواه من قادة العرب المسلمين . وقد تعجز الكلمات عن وصف « عمرو بن العاص » ولكن أمجاده وآثاره كافية لوصفه وتحديد أهمية منجزاته في التاريخ عامة وفي « تاريخ فن الحرب» خاصة ولعل في ذلك ما ينصفه .

---

(١) سورة البقرة – ٢٠١ .

ملاحق الكتاب

وثيقة الصلح مع أهل مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر : الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ؛ وبرهم وبحرهم ؛ لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص [1] ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهلِ مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ؛ وعليهم ما جنى لصوتهم «لصوصهم» فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيب رُفع عنهم الجزاء بقدرهم ؛ وذمتنا ممن أبى بريئه ؛ وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى ؛ رفع عنهم بقدر ذلك ؛ ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب ؛ فله مثل ما لهم ؛ وعليه مثل ما عليهم ؛ ومَن أبَى واختار الذهاب فهو آمن حتى يخرج مأمنه أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله ؛ وذمته ؛ وذمة رسوله ؛ وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ؛ وكذا وكذا

---

(١) أو ينقض .

فرساً ومعونة على ألا يغزوا ولا يُمْنَعوا من تجارة صادرة ولا واردة [1] .

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردانُ وحضر) .

---

(1) تبرز من خلال هذه الوثيقة مجموعة من المعطيات الهامة :

١ – ضمان الحرية الدينية ؛ والتعهد بحماية ممتلكات الكنائس والأديرة .

٢ – ربط قضية الجزية بالقدرة على دفعها ؛ فاذا كانت السنة خيرة بعطائها الزراعي تم دفع الجزية بحسب ما هو مقرر « خمسين مليوناً » أما إذا كان الفيضان ضعيفاً وكان الانتاج الزراعي قليلاً تم تخفيض الجزية بما يعادل « إجداب الأرض وضعف انتاجها .

٣ – تقسيم الجزية على ثلاثة أقساط : بما يتوافق والتكون الاقتصادي للاقاليم .

٤ – اعطاء الأمان لمن يرفض « دفع الجزية » حتى يغادر أرض مصر .

٥ – شمول « الجزية » لمن يريد المصريون ادخاله في الجزية من أبناء الشعوب الأفريقية التي لم يفتح المسلمون بلادهم .

٦ – إسقاط « واجب الحرب » عن المواطنين ممن يدفعون الجزية .

٧ – اطلاق الحرية التجارية وحرية التنقل دون قيود .

٨ – إعطاء ذمة الله ورسوله .

نص اتفاقية « عمرو » و « معاوية » على طلب دم « عثمان »

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما تعاهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص — ببيت المقدس — من بعد قتل عثمان بن عفان ، وحمل كل واحد صاحبه الأمانة ؛ أن بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والإسلام ؛ ولا يخذل أحدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبداً ما حيينا فيما استطعنا ؛ فاذا فتحت مصر ، فان عمراً على أرضها وإمارته التي أمره عليها أمير المؤمنين ؛ وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الأمور ، ومعاوية أمير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الأمر ؛ حتى يجمع الله الأمة ، فاذا اجتمعت الأمة ، فانهما يدخلان في أحسن أمرهما على أحسن الذي بينهما في أمر الله الذي بينهما من الشرط في هذه الصحيفة) [١] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٥٤/٤ .

قصة التحكيم في « دومة الجندل »[1]

تم الاتفاق في «صفين» على تحكيم « أبو موسى الأشعري» نيابة عن «أمير المؤمنين علي» و « عمرو بن العاص» نيابة عن « والي دمشق معاوية بن أبي سفيان » ؛ كما تم الاتفاق على عقد اجتماع التحكيم في «دومة الجندل» في رمضان من سنة ٣٨ هـ = ٦٥٨ م ؛ على أن يحضر «عليّ ومعاوية» ومع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه . واجتمع الحكمان بأذرح « في دومة الجندل » ووافـاهم « المغيرة بن شعبة » فيمن حضر من الناس ؛ فأرسل الحكمان إلى « عبد الله بن عمر بن الخطاب » و « عبد الله بن الزبير » في اقبالهم في رجال كثير ، ووافى «معاوية» بأهل الشام ، وأبى علي وأهل العراق

(١) يمكن الرجوع لمزيد من المعرفة في قضية التحكيم إلى تاريخ الطبري وخاصة ٥/٥٧ ــ ٥٨ و ٦٧ ــ ٧١ .

أن يوافوا ؛ فقال « المغيرة بن شعبة » لرجال من ذوي الرأي من قريش :

أترون أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان ؟.. قالوا : لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال : فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلوا بهما وأراجعهما . فدخل على « عمرو بن العاص » وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله ؛ أخبرني عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة ، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال ، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة ! قال :

أراكم معشر المعتزلة خَلْفَ الأبرار وأمام الفُجّار !

فانصرف المغيرة ، ولم يسأله عن غير ذلك ، حتى دخل على أبي موسى ؛ فقال له مثلَ ما قال لعمرو ، **فقال أبو موسى : أراكم أثبتَ الناس رأياً ، فيكم بقيّة المسلمين ،** فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ؛ فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش ، فقال : **لا يجتمع هذان على أمر واحد** . فلما اجتمع الحكمان وتكلما . قال « عمرو بن العاص » : يا أبا موسى ؛ رأيت أول ما تقضي به من الحق على أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغدرهم ؛ قال أبو موسى : وما ذاك ؟ قال : ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وَفَوا ، وقَدِموا للموعد الذي واعدناهم إياه ؟ قال : بلى قال عمرو : اكتبها فكتبها أبو موسى ؛ قال عمرو : يا أبا موسى ، أأنتَ على أن نسمي رجلاً يلي أمرَ هذه الأمة ؟

فسمه لي . فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليَّ أن أتابعك ، وإلا فلي عليك أن تتابعني .

يا أبا موسى ، ألست تعلم أن عثمانَ رضي الله عنه قتل مظلوماً ؟ قال : أشهد . قال ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ؛ قال : فإن الله عزّ وجلّ قال : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلطاناً فلا يُسْرِف في القَتْلِ إنَّهُ كان مَنْصوراً) [1] **فما يمنعك من «معاوية» وليِّ «عثمان» يا أبا موسى وبيته في قريش كما قد علمت ؟ ...**

فان تخوفت أن يقول الناس : ولي معاوية وليست له سابقة فان لك بذلك حُجَّة ؛ تقول : إني وجدتُه وليَّ «عثمان» الخليفة المظلوم والطالب بدمه ؛ الحسن السياسة . الحسن التدبير وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي ﷺ ؛ وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عرض له بالسلطان . فقال : إن وَلِيَّ أكرمك كرامة لم يُكرمها خليفة . فقال أبو موسى : يا عمرو ، اتق الله عز وجلّ ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل « أبرهة بن الصبّاح » إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت معطيه أفضل «قريش» شرفاً أعطيته عليَّ بن أبي طالب . وأما قولك : إن «معاوية» وليَّ دم «عثمان» فوله هذا الأمر ، فإني لم أكن لأوليه معاوية وأدَعَ المهاجرين الأولين.

---

(١) سورة الاسراء : ٣٣ .

وأما تعريضُك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليّتُه ، وما كنت لأرتشي في حكم الله عزّ وجلّ . ولكنك ، إن شئت أحيينا اسم « عمر بن الخطاب » رضيَ الله عنه . فقال له عمرو : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه ! فقال : إن ابنك رجل صِدْق ولكنك قد غمستَه في هذه الفتنة . وقال عمرو بن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس « مجرب » يأكل ويطعم . وتدخل عبد الله بن عمر فقال يخاطب «عمرو» : يا ابن العاص ؛ إن العرب أسندتْ إليك أمرَها بعد ما تقارعتْ بالسيوف ، وتناجزت بالرّماح ، فلا تُردنَّهم في فتنة . وقال «عمرو» إلى أبي موسى : خبرني ما رأيك ؟ قال : رأيي أن نخلع هذين الرّجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا . فقال له عمرو : فان الرأي ما رأيت ، فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال : إن رأيي ورأي «عمرو» قد اتفق على أمر نرجو أن يُصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى تقدم فتكلّم . فتقدم أبو موسى ليتكلم ، فقال له ابنُ عباس : ويحك ! والله إني لأظنه قد خدعك . إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنت بعده ، فان «عمراً» رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فاذا قمت في الناس خالفك — وكان أبو موسى — مغفلاً — فقال له : إنا قد اتفقنا . فتقدم أبو موسى فحمد الله

عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ؛ إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نَـرَ أصلح لأمرها ، ولا ألمّ لشَعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه . وهو أن نخلع علياً ، ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولـّوا — منهم من أحبوا عليهم ؛ وإني قد خلعت علياً ومعاوية . فاستقبلوا أمركم ، وولـّوا عليكم من رأيتموه ، لهذا الأمر أهلاً ؛ ثم تنحى . وأقبل « عمرو بن العاص » فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ؛ وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه . فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ! إنما مثلك مثل الذين قال الله عز وجل : (واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتيناه آيَاتِنَا فَانْسَلَخ مِنْها)[1] وإنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يَلهثْ أو تتركه يلهث . فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال : أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال عز وجل (مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً)[2] وكتب كل واحد منهما مَثَلَهُ الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار . والتمس أهل الشام أبا موسى ، فركب راحلته ولحق بمكة . ثم انصرف «عمرو»

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ .

(٢) سورة الجمعة : ٥ .

وأهل الشام إلى «معاوية» فسلموا عليه بالخلافة . وتمثل علي بقوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلون) [1] وقوله (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌ ولا يَسْتَخِفَنَّكَ الذين لا يُوقِنُونَ) [2]



(١) سورة النحل ٩١ .

(٢) سورة الروم ٦٠ .

عودة « عمرو بن العاص » إلى مصر والتمهيد لها

عندما انصرف أهل الشام من « صفين » ، كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان ، فلما انصرفا وتفرقا بايع أهل «الشام» معاوية بالخلافة . ولم يزدد إلا قوة ، واختلف الناس بالعراق على «عليّ» فما كان «لمعاوية» همّ إلا «مصر» . وكان لأهلها هائباً خائفاً ، لقربهم منه ، وشدتهم على من كان على رأي «عثمان» . وقد كان على عِلْمٍ أيضاً أن بها قوماً قد ساءهم « قتل عثمان » وخالفوا «علياً» . وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب «عليّ» لعظم خراجها . قال : فدعا «معاوية» من كان يعتمد رأيهم ... وقال لهم : « أتدرون لم دعوتكم ؟ » إني قد دعوتكم لأمر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه ، فقال القوم كلهم — أو من قال منهم — إن الله لم يطلع على الغيب أحداً ؛ وما يدرينا ما تريد ؟ .. فقال « عمرو بن العاص » أرى والله أمرَ هذه البلاد الكثير خراجها ؛ والكثير عددها

وعدد أهلها . أهـمّك أمرها ، فدعوتنا إذاً لتسألنا عن رأينا في ذلك ، فإن كنت لذلك دعوتنا ؛ وله جمعتنا ، فاعزم وأقدم ، ونعم الرأي رأيتَ ! ففي افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك ؛ وذل أهل الخلاف عليك . قال له معاوية مجيباً : أهمني يا ابن العاص ما أهمك . وأقبل «معاوية» على أصحابه فقال : إن هذا — يعني عمراً — قد ظن ثم حقق ظنه ، قالوا له : لكنا لا ندري . قال معاوية : فان أبا عبد الله قد أصاب ، قال «عمرو» : وأنا أبو عبد الله . قال « معاوية » : إنّ أفضل الظنون ما أشبه اليقين .

ثم إنّ «معاوية» حمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم . جاءوكم لا يَروْن إلا أنهم سيقيضون دولتكم ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يَرون إلا أنكم في أيديهم ، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبّوا ، وحاكمناهم إلى الله. فحكم لنـــا عليهم . ثم جمع لنا كلمتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكُفْر ، ويسفك بعضهم دم بعض . والله إني لأرجو أن يتم لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر ، فكيف ترون — سبيلنا — لها ! فقال عمرو : قد أخبرتك عما سألتني عنه ، وقد أشرت عليك بما سمعت ؛ فقال معاوية : إن «عمراً» قد عزم وصرم ، ولم يفسر ، فكيف لي أن أصنع ! قال له عمرو : فإني أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً ، عليهم رجلٌ

حازم صارم تأمنه وتثق به . فيأتي «مصر» حتى يدخلها ، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاهره على مَنْ بها من عدونا . فاذا اجتمع بها جندك ومَنْ بها من شيعتك على من بها من أهل حربك ، رجوت أن يعين الله بنصرك . قال له معاوية : هل عندك شيء دون هذا يُعمَل به فيما بيننا وبينهم ؟ قال : ما أعلمه . قال : بلى . فإن غير هذا عندي . أرى أن نكاتب مَنْ بها من شيعتنا ، ومن بها من أهل عدونا . فأما شيعتنا فآمرهم بالثبات على أمرهم . ثم أمنّيهم قدومنا عليهم ، وأما من بها من عدوّنا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ، ونخوفهم حربنا . فإن صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا ، وإلا كان حربُهم من وراء ذلك كله . إنك يا ابن العاص امرؤ بورك لك في العجلة . وأنا امرؤٌ بورك لي في التؤدة ؛ وقال عمرو : فاعمل بما أراك الله . فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلا إلى الحرب العوان ، وكتب «معاوية» إلى «مسلمة بن مخلد الأنصاري» . والى « معاوية بن حديج الكندي السكوني »

— (بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فان الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ، ورفع به ذكركما ، وزينكما به في المسلمين ؛ طلبكما بدم الخليفة المظلوم وغضبكما لله إذ تُرك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهلَ البغي والعدوان ، فأبشروا برضوان الله ، وعاجل نصر أولياء الله ؛ والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى ينتهي في ذلك ما يُرضيكما ، ونؤدي به حقكما إلى ما يصير أمرُكما إليه فاصبروا وصابروا

عدوكما . وادعوا المدبر إلى هُداكما وحفظكما . فإن الجيش قد أضل عليكما ، فانقشع كل ما تكرهان ، وكان كل ما تهويان والسلام عليكما) .

وأرسل «معاوية» هذا الكتاب مع مولى له يقال له «سبيع» . فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما «مصر» و « محمد بن أبي بكر » أميرها . وقد ناصب هؤلاء الحرب بها ، وهو غير متخون بها يوم الإقدام عليه . فدفع كتابه إلى «مسلمة بن مخلد» وكتابَ «معاوية بن حديج» فقال مسلمة : امض بكتاب «معاوية» إليه حتى يقرأه ، ثم القني به حتى أجيبه عني وعنه ، فانطلق الرسول بكتاب «معاوية بن حديج» اليه فأقرأه اياه ، فلما قرأه قال : إن « مسلمة بن مخلد » قد أمرني أن أرد إليه الكتاب إذا قرأته لكي يجيب «معاوية» عنك وعنه . قال : قل له فليفعل ؛ ودفع إليه الكتاب ، فأتاه ، ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن «معاوية بن حديج» رسالة جاء فيها : (أما بعد ؛ فإن هذا الأمر الذي بذلنا له نفسنا ، واتبعنا أمر الله فيه ، أمرٌ نرجو به ثوابَ ربنا ، والنصرَ ممن خالفنا ، وتعجيلَ النِّقمة لمن سعى على إمامنا ، وطأطأ الركض في جهادنا ، ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفينا من كان به من أهل البغي وأنهَضْنا من كان به من أهل القسط والعدل ، وقد ذكرت المواساة في سلطانك ودنياك وبالله إنَّ ذلك لأمر ما له نهضنا ، ولا إياه أردْنا ، فإن يجمع الله لنا ما نطلب ، ويؤتنا ما تمنَّينا ، فان الدنيا والآخرة لله رب العالمين ، وقد يؤتيهما الله معاً عالماً من خلقه ، كما قال في

كتابه ، ولا خلفَ لموعوده . قال : (فآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)[1] عجل علينا خيلك ورَجْلك . فإنّ عدوّنا قد كان علينا حرباً ، وكنا فيهم قليلاً . فقد أصبحوا لنا هائبينَ . وأصبحنا لهم مقرنين . فإن يأتنا الله بمدد من قِبلك يفتح الله عليكم . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وحسبنا الله ونعم الوكيل . والسلام عليك) .

وصل هذا الكتاب إلى « معاوية بن أبي سفيان » وهو يومئذ في «فلسطين» فدعا مستشاريه وكبار قادته وقال لهم : ماذا ترون ؟ قالوا : الرأي أن تبعث جنداً من قِبلك فإنك تفتتحها بإذن الله . قال معاوية : فتجهَّز يا أبا عبد الله إليها — يعني عمرو بن العاص — . ونظم جيشاً من ٦ آلاف مقاتل ، وأسند قيادتهم إلى «عمرو» وخرج «معاوية» وودعه ، وقال له عند وداعه إياه : (أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنه يُمن ، وبالمهل والتُؤدة ، فإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبلَ ، وأن تعفو عمن أدبَرْ ، فإن قَبِلَ منها ونعِمتْ ، وإن أبَى فإن السطوة بعد المعذرة أبلغَ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادعُ الناسَ إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك آثر الناس عندَك ، وكلَّ الناس فأوْلِ حُسْناً) ثم خرج «عمرو» وقاتل «محمد بن أبي بكر» فهزمه وفتح مصر . وقُتِلَ «محمد بن أبي بكر» قَتَلَهُ « معاوية بن حديج السكوني» وتولى «عمرو» ولاية مصر حتى نهاية حياته .

---

(١) آل عمران — ١٤٨ .

مصر قبل الإسلام

توقيت الأحداث	وجيز الأحداث
التاريخ القديم	كانت هناك مملكتان إحداهما في الشمال عاصمتها « طيبة » والثانية في الجنوب وعاصمتها « منف »
٣٢٠٠ ق . م .	توحد وادي النيل بقيادة الملك مينا .
٣٢٠٠ — ٢١٦٠ ق . م	من الأسرة الأولى — حتى الأسرة العاشرة : عاصمتهم منف ، وأشهرهم الأسرة الرابعة . الذين شيدوا الاهرامات الكبرى وتمثال أبو الهول «وأبرز ملوك هذه الأسرة خوفو وخفرع ومنقرع » ثم ضعفت سيطرة هذه الأسر بسبب التمزق الداخلي ، وضعفت بذلك وحدة وادي النيل .
٢١٦٠ — ١٥٨٠ ق . م	من الأسرة ١١ — ١٧ ، أعيدت لمصر وحدتها ، وكانت «طيبة» في هذه المرحلة عاصمة لها .
١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق . م	قام «الهكسوس» وهم عرب من الجزيرة العربية والشام بغزو مصر وحكمها.

التاريخ	الحدث
١٦٠٠ ق . م	نجح «أحمس» الأول من الأسرة ١٧ باخراج الهكسوس من « مصر »
١٥٨٠ — ١٠٨٥ ق . م	من الأسرة ١٨ — ٢٠ عاصمتهم « طيبة »
١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م	قام «تحوتمس» الثالث بغزو سوريا . وانتصر على السوريين في معركة «مجدو» ١٤٦٨ ق . م .
١٣٧٢ — ١٣٥٤ ق . م	عهد امنحوتب الرابع «أخناتون» الذي نقل العاصمة من «طيبة» إلى «أخيت — آتون» أو «تل العمارنة» حالياً ؛ وفرض عبادة الشمس على الشعب .
١٢٩٦ ق . م	قام « رعمسيس الثاني » بقيادة جيش لمحاربة الحثيين ؛ وانتصر عليهم في معركة «قادش» قرب «حمص» وانتهى الأمر بمعاهدة أخذ الحثيون بموجبها حق ممارسة حكمهم في شمال «حمص» وحكم المصريون جنوبها .
١٠٨٥ — ٣٣٢ ق . م	من الأسرة ٢١ — ٣٠ ، وتميز حكم هذه الأسر بالضعف وتمزق الدولة : ١ — احتل الليبيون «الدلتا» وحكموها طوال قرنين من الزمن . ٢ — قامت شعوب البحر « اليونانيون على الأرجح » بغزو مصر ، وأخرجهم المصريون في النهاية .

٧٤٦ ـ ق . م	احتل « الأثيوبيون » الأحباش مصر العليا
٦٧٠ ق . م	احتل «الآشوريون» مصر في عهد «أسرحدون»
٥٢٥ ق . م	احتل الفرس « مصر » بقيادة « قمبيز الثاني »
٣٣٢ ـ ٣٠ ق . م	احتل «البطالسة» مصر بقيادة « الاسكندر المقدوني » وشيدوا الاسكندرية.
٣٠ ق . م ـ ٦٤٠ م	انتزع «الرومان» مصر من البطالسة وحكموها .
٦٤٠ م	الفتح الإسلامي لمصر

مصر بعد الإسلام وحتى العصر الحديث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	وجيز الأحداث
قبل ٣ قبل الهجرة	قبل ٦٣٩ م	النيل والدلتا تحت حكم الروم «البيزنطيين» والصحراء تحت حكم القبائل الوثنية .
٢ قبل الهجرة حتى ٧ بعدها	٦١٩ — ٦٢٨	«الساسانيون» يهاجمون مصر «الفرس»
١٨ — ٢٢	٦٣٩ — ٦٤٢	«عمرو بن العاص» يفتح «مصر»
٢٢ — ٤١	٦٤٢ — ٦٦١	عهد الخلفاء الراشدين
٣٥ — ٣٦	٦٥٥ — ٦٥٦	الفتنة تسيطر على مصر
٣٩ — ٤١	٦٥٩ — ٦٦١	
٤١ — ١٣٣	٦٦١ — ٧٥٠	الأمويون وولاتهم
٦١ — ٦٥	٦٨٠ — ٦٨٤	عبدالله بن الزبير ينافس الأمويين في حكم مصر
١٣٣ — ٢٥٤	٧٥٠ — ٨٦٨	ولاة العباسيين

هـ	م	
٢٥٤ ـ ٢٩٣	٨٦٨ ـ ٩٠٥	الطولونيون في «القطائع» يخضعون اسمياً للخلافة العباسية ويحكمون «مصر وبرقة» ـ أولهم أحمد ابن طولون
٢٩٣ ـ ٣٢٤	٩٠٥ ـ ٩٣٥	ولاة العباسيين يستعيدون الحكم
٣٢٤ ـ ٣٥٨	٩٣٥ ـ ٩٦٨	الأخشيديون في «الفسطاط» وأولهم «محمد بن طغج» ثم «أونوجور» بن محمد ، واستولى «كافور» بعد ذلك على الحكم .
٣٥٩ ـ ٣٦٢	٩٦٩ ـ ٩٧٢	العبيديين « أو الفاطميين » ـ ويدّعون بأنهم من « آل البيت» وبدأ الفاطميون حكمهم في القيروان «٩٠٩ـ٩٧٢م» ثم وجهوا قائدهم «جوهر الصقلي» ففتح مصر «٩٧٢ م» وهم :
١) ٢٩٧ ـ ٣٢٣	٩٠٩ ـ ٩٣٤	«سعيد عبيدالله المهدي بن حسين» «في القيروان»
٢) ٣٢٣ ـ ٣٣٥	٩٣٤ ـ ٩٤٦	«محمدالقائم بأمر اللهبنسعيد عبيدالله«في القيروان»
٣) ٣٣٥ ـ ٣٤١	٩٤٦ ـ ٩٥٢	«اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم

هجري	ميلادي	الحاكم
		بأمر الله » « في القيروان»
٤) ٣٤١ — ٣٦٥	٩٥٢ — ٩٧٥	«محمد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بالله » « في القاهرة »
٥) ٣٦٥ — ٣٨٦	٩٧٥ — ٩٩٦	«نزار المعز لدين الله بن محمد المعز» « في القاهرة »
٦) ٣٨٦ — ٤١٢	٩٩٦ — ١٠٢١	«المنصور الحاكم بأمر الله ابن نزار » « الحاكم المجنون » « في القاهرة »
٧) ٤١٢ — ٤٢٧	١٠٢١ — ١٠٣٥	« الظاهر بن المنصور » « في القاهرة »
٨) ٤٢٧ — ٤٨٧	١٠٣٥ — ١٠٩٤	« المستنصر بالله بن الظاهر » « في القاهرة »
		وتعاقب بعد ذلك عدد من الحكام — ممن لم يكن الحكم في أيديهم .
٣٦٢ — ٥٦٧	٩٧٢ — ١١٧١	الفاطميون في « القاهرة »
٥٦٧ — ٦٤٨	١١٧١ — ١٢٥٠	الأيوبيون « في القاهرة »
٥٦٧ — ٥٩٠	١١٧١ — ١١٩٣	«صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحكم فعلاً من

		سنة ١١٦٩ م
٦١٥ — ٦١٨	١٢١٨ — ١٢٢١	الحملة الصليبية على الدلتا ودمياط « بقيادة جـــان دوبريين »
٦٤٦ — ٦٤٨	١٢٤٨ — ١٢٥٠	الحملة الصليبية بقيادةملكفرنسا «لويس التاسع»
٦٤٨ — ٧٨٤ ٧٩٢ — ٧٩٣	١٢٥٠ — ١٣٨٢ ١٣٩٨ — ١٣٩٠	المماليك البحرية «في القاهرة» «وهم من الأتراك»
٧٨٤ — ٧٩٢ ٧٩٣ — ٩٢٢	١٣٨٢ — ١٣٨٩ ١٣٩٠ — ١٥١٦	المماليك البرجية « في القاهرة » «شراكس»
٧٦٧	١٣٦٥	قيام الصليبيين بنهب الاسكندرية بقيادة « بيـــير دولوزينيان »
٩٢٢ — ١٢٢٠	١٥١٦ — ١٨٠٥	المماليك يخضعون للعثمانيين «في مصر»
١١٨٠ — ١١٨٧	١٧٦٦ — ١٧٧٣	التمرد على الدولة العثمانية
١٢١٣	١٧٩٨	نابليون يقوم « بغزو » مصر

١٢١٤	١٧٩٩	نيلسون «قائد الأسطول البريطاني» يدمر الأسطول الافرنسي في « أبي قير »
١٢١٦	١٨٠١	المصريون يتعاونون مع البريطانيين لاخراج الافرنسيين من مصر
١٢٢٠ — ١٢٤٨	١٨٠٥ — ١٨٣٢	محمد علي باشا — مؤسس الدولة العلوية — والياً للعثمانيين على مصر
١٢٢٢	١٨٠٧	احتل البريطانيون الاسكندرية لفترة قصيرة ثم غادروها
١٢٤٨ — ١٣٠٠	١٨٣٢ — ١٨٨٢	مصر شبه مستقلة عن الامبراطورية العثمانية في حكم محمد علي وسلالته واحلال النفوذ الافرنسي محل النفوذ التركي ؛ إلى أن فرض الانكليز نفوذهم على مصر في العام ١٨٧٥ .
١٢٧٦ — ١٢٨٦	١٨٥٩ — ١٨٦٩	شق قناة السويس
١٣٠٠ — ١٣٥٥	١٨٨٢ — ١٩٣٦	الاحتلال البريطاني لمصر

١٣٣٣ – ١٣٤١	١٩١٤ – ١٩٢٢	اعتبار مصر « محمية » بريطانية ، ومنحها الاستقلال الاسمي بعد عام ١٩٢٢
١٣٥٥	١٩٣٦	اعلان استقلال « مصر »
١٣٥٩	١٩٤٠	ايطاليا تهاجم الحدود المصرية
١٣٦١	١٩٤٢	وصول القوات الألمانية إلى الحدود المصرية
١٣٧٢	٢٣ تموز «يوليو» ١٩٥٢	ثورة الضباط الأحرار ، وخلع الملك فاروق . ورئاسة اللواء « محمد نجيب »
١٣٧٣	١٩٥٣	اعلان الجمهورية في «مصر» وتعيين المقدم «جمال عبدالناصر» رئاسة الثورة، ثم رئاسة الجمهورية.
١٣٧٦	٢٦ تموز «يوليو» ١٩٥٦	تأميم قناة السويس
١٣٧٦	٢٩ أكتوبر – ٦ نوفمبر ١٩٥٦	العدوان الثلاثي « البريطاني – الافرنسي – الاسرائيلي » على مصر

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
بعض ما قيل عن «عمرو بن العاص» وما نقل عنه .	٥
الفصل الأول : عمرو بن العاص .	
مختصر حياة عمرو بن العاص القيادية	١١
١ – من الجاهلية حتى حروب الردة	١٣
٢ – « عمرو بن العاص » في الشام .	٢٨
٣ – فتح مصر وولايتها .	٣٩
آ – الوضع العام قبل الفتح .	٣٩
ب – الموقف العسكري عشية الفتح	٤٣
ج – الأعمال القتالية	٤٧
٤ – ما بين الولايتين	٧٦
الفصل الثاني : عمرو بن العاص وفن الحرب	
موقع عمرو بن العاص من « فن الحرب »	٩٣
آ – في الاستراتيجية العليا	٩٧
١ – الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة	٩٧

٢ ــ بناء المجتمع الجديد ١٠٠
٣ ــ وضوح الهدف ١٠٥
٤ ــ الحرص على العنصر العربي «دعامة الاسلام» ١٠٨
٥ ــ استراتيجية «الهجوم غير المباشر» ١١٠
٦ ــ استراتيجية «الحرب التشتيتية» ١١٦
٧ ــ استراتيجية «الهجمات الوقائية» ١١٨

ب ــ في مبادىء الحرب : **١٢٢**

١ ــ المباغتة ١٢٢
٢ ــ أمن العمل ١٢٥
٣ ــ القدرة الحركية ١٢٧
٤ ــ المبادأة واستخدام القوة الهجومية ١٣١
٥ ــ مبدأ الاقتصاد بالقوى ١٣٣
٦ ــ المحافظة على الهدف ١٣٦

الفصل الثالث : قيادة «عمرو بن العاص»

آ ــ عمرو بن العاص وفن القيادة **١٤٣**

١ ــ الاهتمام بالشؤون الادارية «اللوجستيك» ١٤٣
٢ ــ العنف في القضاء على «أعداء المسلمين» ١٤٦
٣ ــ التحريض والحض على القتال ١٤٩
٤ ــ الشجاعة في مواجهة الخطر ١٥١
٥ ــ القرارات الصحيحة ١٥٤
٦ ــ حماية المرؤوسين ١٥٧

صَدَرَ عَنْ دَار النفَائس للمؤلِف

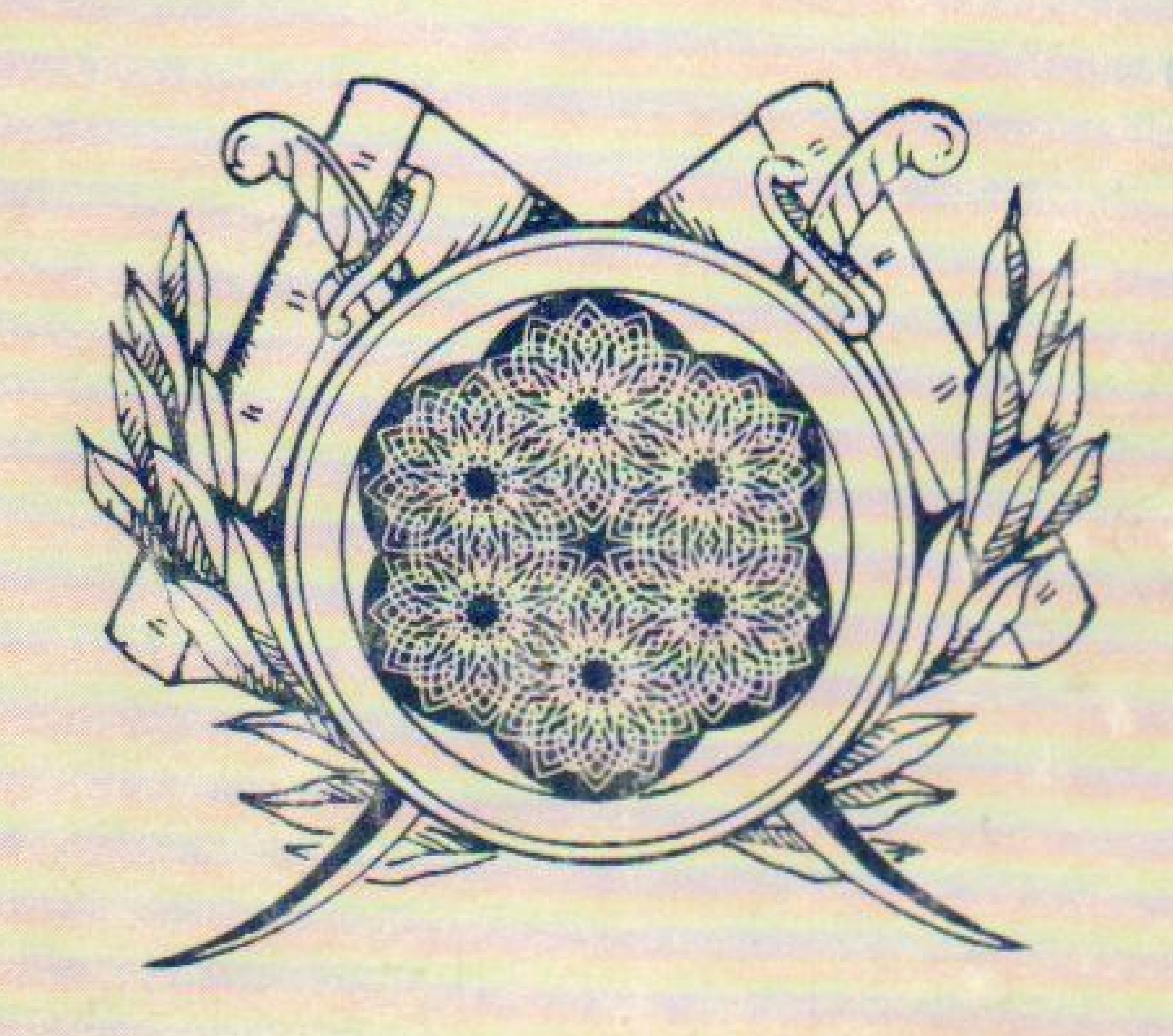
أ- الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .

ب- مشاهير قادة الاسلام

١ - عقبة بن نافع
٢ - موسى بن نصير
٣ - قتيبة بن مسلم الباهلي
٤ - سعد بن أبي وقاص
٥ - عمرو بن العاص
٦ - أبو عبيدة بن الجراح
٧ - خالد بن الوليد
٨ - معاوية بن أبي سفيان
٩ - صلاح الدين الأيوبي .
١٠ - المظفر قطز وعين جالوت
١١ - الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة
١٢ - عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)
١٣ - عبد الرحمن الناصر لدين الله
١٤ - الحاجب المنصور
١٥ - المعتمد وابن تاشفين

ج- جهاد شعب الجزائر

١ - خير الدين بربروس
٢ - الجزائر والحملات الصليبية
٣ - المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي
٤ - الأمير عبد القادر الجزائري
٥ - محمد المقراني (وثورة ١٨٧١ - الجزائرية) .
٦ - الأمير خالد الهاشمي الجزائري
٧ - عبد الحميد بن باديس
٨ - الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية
٩ - الله اكبر - وانطلقت ثورة الجزائر
١٠ - جيش التحرير الوطني الجزائري والصراع المسلح
١١ - أيام جزائرية خالدة
١٢ - المجاهدون الجزائريون - وتطور الصراع المسلح
١٣ - المجاهدة الجزائرية - والارهاب الاستعماري
١٤ - الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية
١٥ - جبهة التحرير الوطني الجزائرية - والصراع السياسي



دار النفائس ص.ب ١١.٦٣٤٧ هاتف ٣.٢٥٣٨ ـ بيروت